

الكتاب: الأئمة الإثني عشر
المؤلف: الشيخ جعفر السبحاني
الجزء:
الوفاء: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والأئمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

الأئمة الاثنا عشر.. دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم - عليهم السلام -
تأليف:
جعفر السبحاني

(تعريف الكتاب ١)

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يأتي المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأن الحقبة الزمنية التي شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها انعطافا رهيبا وتحولا كبيرا في حياة البشرية، في وقت شهد فيه الخط البياني الدال على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوي وشرائعه المقدسة انحدارا عميقا وترديا ملحوظا أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

(مقدمة الكتاب ٢)

بلى، ان مجرد الاستقراء المتعجل لأبعاد التحول الفكري والعقائدي في حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية في أرض الجزيرة - المسترخية على رمال الوهم والخذاع وسيل الدم المتدافع - يكشف وبلا تطرف ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابي الذي يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحول المعاكس في كيفية التعامل اليومي مع احداث الحياة وتطوراتها، وبالتالي في فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره في بناء الحياة. كما أن هذه الحقائق المجسدة تكشف بالتالي عن عظم الجهد الذي بذله صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم في تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، في وقت شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعا ملحوظا في جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفا مدروسا في مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرس بالتالي مسارها المبتعد عن الخط السماوي ومناهجه السوية، وأن أي استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك - والتي كانت تشكل المعيار الأساسي والمفصل المهم الذي تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وتشذب من خلاله - يكشف عن عمق المأساة التي كانت تعيشها تلك الأمم في تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك - والتي تعتبر في تصور العوام وفهمهم مصدر القرار العرفي والشرعي المدير لشؤون الناس والمتحكم بمصائرهم ومسار تفكيرهم - تنحصر في ثلاثة مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدي وفكري يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يشكلونه من قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها إلى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفذين والمتحكمين في مصائر الناس.

ومن هنا فإن كل الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها بما يتلاءم وتوجهاتها التي لا تحدها أي حدود.

إن هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لان تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذي اراده الله تعالى له، ودفعه عن دوره الكبير الذي خلق من أجله عندما قال تعالى للملائكة: {إني جاعل في الأرض خليفة} بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماما رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسان ل يبقى دائما بيدقا أعمى تجول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة. وأما ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود امام تيارات التزييف والكذب والخداع التي مسخت صورتها إلى أبعد الحدود.

(مقدمة الكتاب ٥)

نعم بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. هذا في الوقت الذي كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية

وموت مبادئها.

وهكذا فقد كانت الدعوة الإسلامية الفتية وصاحبها صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الرهيبة وقدراتها العظيمة، والتي شكلت أعنف مواجهة شرسة وقاتل ليس له مثل صبغ أرض الجزيرة ورمالها الصفراء، بلون أحمر قاني لسنوات لم

يعرف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخيرة أصحابه للراحة طعما وللسكون مسكنا.

إن تلك الحصون المليئة بالشر والخراب لم تنهار إلا بعد جهد جهيد وسيل جارف من الدماء الطاهرة التي لا توزن بها الجبال، من رجال أوقفوا أنفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدين وصاحبه صلى الله عليه وآله وسلم.

استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم حكومة الله تعالى في الأرض وأن يثبت فيها الأركان على أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاك كل قوى الشر بدا من الاختباء في زوايا العتمة والظلام تتحين الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض على هذا البنيان الذي بدأ يزداد شموخاً وعلواً مع تقادم السنين.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك عياناً أن نقطة ضعف هذه الأمة يكمن في تفرقتها وفي تبعض جهودها مما سيمكن من ظهور منافذ مشرعة في هذا البنيان الكبير لا تتردد أركان الكفر وأعداء الدين المتلونين والمتستترين من النفوذ خلالها والتسلل بين أهلها، وفي ذلك الخطر الأكبر. ولذا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصرح ويحذر من افتراق أمته، ويلوح للمفترقين بالنار والجحيم.

بيد أن ما حذر منه صلى الله عليه وآله وسلم وما كان يخشاه، بدت أول معالمه
الخطرة تتوضح في اللحظات الأولى لرحيله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاله إلى عالم
الخلود، وعندها وجد أعداء هذا الدين الفرصة مؤاتية للولوج إلى داخل هذا البناء
والعمل على هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.
فتفرقت هذه الأمة فرقا فرقا وجماعات جماعات، لا تتردد كل واحدة من أن تكفر
الأخرى وتكيل لها التهم الباطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعدائهم
بقتال إخوانهم والتمثيل بأجسادهم، وحل بالأمة وباء وبيل بدأ يستشري في جسدها
الغض
بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.
نعم بعد هذه السنين المرة من الفرقة والتشتت بدأ المسلمون في أخريات المطاف
يلعقون
جراحا خلفتها سيوف إخوانهم لا سيوف أعدائهم في حين ينظر إليهم أعداؤهم بتشف
وشماتة.

إن ما حل بالمسلمين من مصائب وتخلف في كافة المستويات أوقعتهم في براثن المستعمرين أعداء الله ورسله يعود إلى تفرق كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزق وحدتهم، ولعل نظرة عاجلة لما يجري في بقاع المعمورة المختلفة يوضح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً ببلبنان وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزق والتبعثر. وإن كان من كلمة تقال فإن للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر في توقي غيرها من المضاعفات الخطيرة التي تتولد كل يوم في بلد من بلاد المسلمين لا في غيرها. ولا نغالي إذا قلنا بأن للجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسسها الإمام الخميني - رضوان الله تعالى عليه - الفضل الأكبر في تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه. ولعل الاستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام - رحمه الله - طوال حياته ولسنين طويلة يدلنا بوضوح على قدرته التشخيصية في وضع يده على موضع الداء ودعوته إلى الالتفات إلى ذلك، لا إلى الانشغال بما عداه.

فمن نداء له - رحمه الله - إلى حجاج بيت الله الحرام في عام (١٣٩٩ هجري) قال:
ومن واجبات هذا التجمع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعاظ والكتاب أن يهتموا بهذا الأمر الحياتي ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرر بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلا الله) من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلة، ولتغلب بالاخوة الإسلامية على المشاكل.
يا مسلمي العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد رمز كل مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الانسجام، ورمز الانتصار ووحدة الكلمة والانسجام، وقد بين الله تعالى ذلك في جملة واحدة: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} والاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفي اتجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والابتعاد عن التفرقة والانفصال والفئوية التي هي أساس كل مصيبة وتخلف.

وقال - رحمه الله - في كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين (١٣٩٩ هجري):

رمز انتصار المسلمين في صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان. لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية متلاحمة فلا

معنى لان يبقى ما يقارب مليار إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أن هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان ويسيروا جميعا متأخين على طريق الإسلام فلا تستطيع أية قوة أن تتغلب عليهم.

وأكد - رحمه الله - على مغزى سر انتصار المسلمين في صدر الإسلام الأول رغم قلة عددهم وتواضع امكانياتهم، وانكسارهم في الوقت الحاضر مع عظم امكانياتهم وكثرة عددهم

بقوله: يا مسلمي العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم في صدر الإسلام بعدة قليلة جدا القوى العظمى وأوجدتم الأمة الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليار إنسان وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التي هي أكبر حربة تقفون أمام العدو بمثل هذا

الضعف والانهيار، أتعلمون أن كل مآسيكم تكمن في التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالي بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضا: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التي تديرها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودة وجوهرهم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤججون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكل يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفي كل مرحلة ينفذون خطة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه. وهكذا فإن الصورة تبدو أكثر وضوحا عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخميني وتوصياته المستمرة إلى عموم المسلمين وخصوصا في مواسم الحج التي تشكل أفضل تجمع إسلامي تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين ومن شتى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لا بد من أن يكرسه المسلمون لتدارس أمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث أن الإمام - رحمه الله - كان يواظب على إثارة هذه الأمور الحساسة والمهمة في حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدخر في ذلك جهدا.

كما أن الاطلاع على فتاوى الإمام - رضوان الله تعالى عليه - يكشف بوضوح عمق توجهه

إلى هذا الأمر الحيوي والدقيق، وتأكيد عليه.

فمن توجيهاته - رحمه الله - إلى الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة.

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة في سائر البلدان الإسلامية أن يتجنبوا الأعمال السقيمة المؤدية إلى تفرقة صفوف المسلمين، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنة، والابتعاد بشدة عن تشكيل صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبرات الصوت بشكل

غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزي (أي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من أهل السنة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامة الإخوة والأخوات في الدين أن يلتفتوا إلى أن واحدا من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الإخوة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمة التي ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها في الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخميني - رضوان الله تعالى عليه - وأخذت تؤكد عليه في كل مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية الله السيد علي الخامنئي - حفظه الله - وباقي مسؤوليها، ولم تدخر جهدا في العمل على إقامة هذا الأمر الشرعي المهم والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى أو دعمها غير المحدود لكل الجهود المخلصة في هذا الميدان.

وأخيرا.. فإن هذا الكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم - وهو بقلم الباحث القدير الشيخ جعفر السبحاني - دعوة للتأمل ضمن الحدود التي أشرنا إليها في حديثنا، وهي بالتالي تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التي أرادت تمزيق الأمة ودفعها إلى التشتت، وبيان ما أخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الأمة ومعتقداتها. بل لسنا في معرض الدفاع عن الوجود المقدس لهذه الشريعة السماوية فحسب، بل ابتغينا إزاحة اللثام وإماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التي تريد بالأمة الهلاك.

وقد قامت معاوية شؤون التعليم والبحوث بنشره، حتى يعم نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب.

والله تعالى من وراء القصد.

بسم الله الرحمن الرحيم
تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر إماماً من بني هاشم نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو معلوم للجميع، ومن ثم نص كل إمام على الإمام الذي بعد، بشكل يخلو من الشك والابهام. لقد تضافر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يملك هذه الأمة اثنا عشر خليفة كعدد نساء بني إسرائيل. وكما هو معلوم ومبسط في كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك. إن هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلا على أئمة الشيعة والعترة الطاهرة وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبتها، ومعدن الحكم وهم خزائنها، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته (١) فتلزم علينا معرفتهم، كيف وهم أحد الثقلين اللذين تركهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قدوة للأمة ونورا على جبين الدهر.

(١) اقتباس مما ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مقدمة كتابه إعلام الوري بأعلام الهدى ٣.

ونحن نحاول هنا أن نعرض في هذا الفصل موجزا عن أحوالهم وحياتهم متوخين الاختصار والايجاز في ما نورد، لأن بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين موسوعة كبيرة، وقد قام بذلك لفيف من علماء الإسلام فأثبتوا الشيء الكثير عن حياتهم وسيرتهم وأقوالهم، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الإمام الأول: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -
إن الإمام علي بن أبي طالب أشهر من أن يعرف، ولقد قام لفيف من السنة والشيعه
بتأليف كتب وموسوعات عن حياته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه، وخطبه،
وقصار

كلماته، وسياسته، وحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فالأولى لنا الاكتفاء
بالميسور في هذا المجال، وإحالة القارئ إلى تلك الموسوعات، بيد أنا نكتفي هنا
بذكر

أوصافه الواردة في السنة فنقول:

هو أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، وأول
القوم ايماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزية، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم
بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الهاشمي، وليد الكعبة المشرفة، ومطهرها من كل
صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهي (جامع الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠
هجري.

وكل جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، كلمة قدسية نبوية أخرجها
الحفاظ
من أهل السنة (١).

(١) راجع مسند أحمد ١ / ٣٣١، ٥ / ١٨٢ - ١٨٩، حلية الأولياء ١ / ٦٢ - ٦٨، ولاحظ
الغدیر ٢ / ٣٣.

الإمام علي ومكونات الشخصية:

تعود شخصية كل انسان - حسب ما يرى علماء النفس - إلى ثلاثة عوامل هامة لكل منها

نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها. وكأن الشخصية الإنسانية لدى كل انسان أشبه بمثلث يتألف من اتصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هي:

١ - الوراثة.

٢ - التعليم والثقافة.

٣ - البيئة والمحيط.

إن كل ما يتصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الإنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق. وان الأبناء لا يرثون منا المال والثروة والأوصاف الظاهرية فقط كملامح الوجه ولون العيون وكيفيات الجسم، بل يرثون كل ما يتمتع به الآباء من خصائص روحية وصفات أخلاقية عن طريق الوراثة كذلك.

فالأبوان - بانفصال جزئي الحويمن والبويضة المكونين للطفل منهما - إنما ينقلان - في الحقيقة - صفاتهما ملخصة إلى الخلية الأولى المكونة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التي تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.

ويشكل تأثير الثقافة والمحيط، الضلعين الآخرين في مثلث الشخصية الإنسانية، فإن لهذين الأمرين أثرا مهما وعميقا في تنمية السجيا الرفيعة المودعة في باطن كل إنسان بصورة فطرية جبلية أو المتواجدة في كيانه بسبب الوراثة من الأبوين. فإن في مقدور كل معلم ان يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقي إليه من تعليمات وتوصيات وما يعطيه من سيرة وسلوك ومن آراء وأفكار، فكم من بيئة حولت أفرادا صالحين إلى فاسدين، أو فاسدين إلى صالحين.

وإن تأثير هذين العاملين المهمين من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى المزيد من البيان والتوضيح. على أننا يجب أن لا ننسى دور إرادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

الإمام علي - عليه السلام - والجانب الموروث في شخصيته:
لم يكن الإمام علي - عليه السلام - كبشر بمستثنى من هذه القاعدة.
فقد ورث الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - جانبا كبيرا من شخصيته النفسية
والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك تفصيل ذلك:
١ - الإمام علي - عليه السلام - والوراثة من الأبوين:
لقد انحدر الإمام علي من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصية هو أبو طالب، ولقد
كان
أبو طالب زعيم مكة، وسيد البطحاء، ورئيس بني هاشم، وهو إلى جانب ذلك، كان
معروفا
بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبة والفداء والتضحية في سبيل الهدف
المقدس، والعقيدة التوحيدية المباركة.
فهو الذي تكفل رسول الله مند توفي عنه جده وكفيله الأول عبد المطلب وهو آنذاك
في الثامنة من عمره، وتولى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته في السفر
والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لا نظير لهما، بل وبقي يدافع عن رسالة
التوحيد،
والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم في سبيل ارساء
قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، ويتحمل لتحقيق هذه الأهداف العليا كل تعب
ونصب وعناء.
وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلت موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في
ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:
ليعلم خيار الناس أن محمدا * نبي كموسى والمسيح ابن مريم
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * رسولا كموسى خط في أول الكتب (١)

(١) مجمع البيان ٤ / ٣٧.

إن من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعا في الشعب ومقاطعتهم القاسية من دافع غير الايمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتصف به أبو طالب، إذ لا تستطيع مجرد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحية. إن الدلائل على ايمان أبي طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحققين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصبين توقف في إيمان تلك

الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنه مات غير مؤمن.

ولو صحت عشر هذه الدلائل الدالة على ايمان أبي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث، في حق رجل آخر لما شك أحد في ايمانه فضلا عن إسلامه، ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدلة إقناع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم؟! هذا عن والد الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام -.

وأما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كانت قبل ذلك تتبع ملة إبراهيم. إنها المرأة الطاهرة التي لجأت - عند المخاض - إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

يا رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم وانه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت و (بحق) المولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي.

فدخلت فاطمة بنت أسد في الكعبة ووضعت عليا هناك (١).

(١) كشف الغمة ١ / ٦٠.

وتلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرخين والمحدثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب في مصنفاتهم، كما نقلها ثلة كبيرة من علماء السنة وصرحوا بها في كتبهم واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل (٢).

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٤٩، شرح الشفاء للقاضي عياض ١ / ١٥١ وغيرهما، وقد أفرد العلامة الأردوبادي رسالة في هذه المنقبة سماها: علي وليد الكعبة.

وقال الحاكم النيسابوري: وقد تواترت الأخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة (٣).

(٣) شرح عينية عبد الباقي أفندي العمري ١٥.

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الألوسي: وكون الأمير كرم الله وجهه، ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه، كما اشتهر وضعه
(٤).

(٤) الغدير ٦ / ٢٢.

٢ - الإمام علي والتربية في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
وأما التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقاها علي - عليه السلام - في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة. ولو أننا قسمنا مجموعة سنوات عمر الإمام - عليه السلام - إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأول من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يشكل السنوات التي قضاها

عليه السلام - قبل بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وان هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات، لأن اللحظة التي ولد فيها علي - عليه السلام - لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث بالرسالة في سن الأربعين.

وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام علي - عليه السلام - قد تجاوز السنة العاشرة من عمره

يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وتوج بالنبوة. إن أبرز الحوادث في حياة الإمام علي - عليه السلام - هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقق الضلع الثاني من المثلث الذي أسلفناه بواسطة النبي الأكرم وفي ظل ما أعطاه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي - عليه السلام - من أخلاق وأفكار، لأن هذا القسم في حياة كل إنسان وهذه الفترة من عمره هي من اللحظات الخطيرة، والقيمة جدا، فشخصية الطفل في هذه الفترة تشبه صفحة بيضاء نقية تقبل كل لون وهي مستعدة

لأن ينطبع عليها كل صورة مهما كانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر - بالتالي - خير فرصة لأن ينمي المربون والمعلمون فيها كلما أودعت يد الخالق في كيان الطفل من سجايا طيبة وصفات كريمة، وفضائل أخلاقية نبيلة، ويوقفوا الطفل - عن طريق التربية

على القيم الأخلاقية والقواعد الإنسانية وطريقة الحياة السعيدة، وتحقيقا لهذا الهدف السامي تولى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه تربية علي - عليه السلام - بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها علي - عليه السلام - إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيت من رسول الله حبا شديدا لعلي حتى أنه قال لها:

اجعلي مهده بقرب فراشي وكان صلى الله عليه وآله وسلم يطهر عليا في وقت غسله، ويوثر اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه ويقول: هذا

أخي، وولي وناصر وصفي وذخري وكهفي، وصهري، ووصيي، وزوج كريمتي،

وأمني على
وصيتي وخليفتي (١).

(١) كشف الغمة ١ / ٦٠.

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هي ان يتم توفير الضلع الثاني في مثلث الشخصية (وهو التريية) بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم وان لا يكون لاحد غير النبي (ص) دخل

في تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

وقد ذكر الإمام علي (ع) ما أسداه الرسول الكريم إليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة إذ قال:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في

حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه،

وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني به (٢).

(٢) نهج البلاغة - شرح عبده - ٢ / ١٨٢ الخطبة القاصعة.

النبي يأخذ عليا إلى بيته:
وإذا كان الله تعالى يريد لولي دينه أن ينشأ نشأة صالحة وأن يأخذ النبي عليا إلى بيته وأن يقع منذ نعومة أظفاره تحت تربية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ألفت نظر نبيه إلى ذلك.
فقد ذكر المؤرخون أنه أصابت مكة - ذات سنة - أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبو طالب - رضي الله عنه - ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والضائقة والجهد والفاقة: فعند ذلك دعا رسول الله عمه العباس إلى أن يتكفل كل واحد منهما واحدا من أبناء أبي طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافق العباس على ذلك:
فأخذ النبي عليا، وأخذ العباس جعفرا وتكفل أمره، وتولى شؤونه (١).

(١) بحار الأنوار ٣٥ / ٤٤، وسيرة ابن هشام ١ / ٢٤٦.

وهكذا وللمرة الأخرى أصبح علي - عليه السلام - في حوزة رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة كاملة، واستطاع بهذه المرافقة الكاملة ان يقتطف من ثمار أخلاقه العالية وسجاياه النبيلة، الشئ الكثير، وأن يصل تحت رعاية النبي وعنايته وبتوجيهه وقيادته، إلى أعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - يشير إلى تلك الأيام القيمة وإلى تلك الرعاية النبوية المباركة المستمرة إذ يقول:

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالافتداء به (٢).

(٢) نهج البلاغة - شرح عبده - ٢ / ١٨٢.

علي في غار حراء
كان النبي - حتى قبل أن يبعث بالرسالة والنبوة - يعتكف ويتعبد في غار حراء شهرا
من كل سنة، فإذا انقضى الشهر وقضى جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجه إلى
المسجد

الحرام رأسا وطاف بالبيت سبعا، ثم عاد إلى منزله. وهنا يطرح سؤال: وماذا كان شأن
علي - عليه السلام - في تلك الأيام التي كان يتعبد ويعتكف فيها رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في ذلك المكان مع ما عرفنا من حب الرسول الأكرم له؟ هل كان
يأخذ

صلى الله عليه وآله وسلم عليا معه إلى ذلك المكان العجيب أم كان يتركه ويفارقه؟
إن القرائن الكثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن أخذ عليا
لم يفارقه يوما أبدا فهاهم المؤرخون يقولون:
كان علي يرافق النبي دائما ولا يفارقه أبدا حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كان إذا خرج إلى الصحراء أو الجبل أخذ عليا معه (١).

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ / ٢٠٨.

يقول ابن أبي الحديد:
وقد ذكر علي - عليه السلام - هذا الأمر في الخطبة القاصعة إذ قال:
ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري (٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

إن هذه العبارة وإن كانت محتملة في مرافقته للنبي في حراء بعد البعثة الشريفة إلا أن القرائن السابقة وكون مجاورة النبي بحراء كانت في الأغلب قبل البعثة، تؤيد أن هذه الجملة، يمكن أن تكون إشارة إلى صحبة علي للنبي في حراء قبل البعثة. إن طهارة النفسية العلوية، ونقاوة الروح التي كان علي - عليه السلام - يتحلى بها، والتربية المستمرة التي كان يحظى بها في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كل ذلك كان سببا في أن يتصف علي - عليه السلام - ومنذ نعومة أظفاره - ببصيرة نفاذة وقلب مستنير، واذن سمیعة واعية تمكنه من أن يرى أشياء ويسمع أموجا تخفى على الناس العاديين ويتعذر عليهم سماعها ورؤيتها، كما يصرخ نفسه بذلك إذ يقول:

أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة (١).

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام):
كان علي - عليه السلام - يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة،
الضوء ويسمع الصوت.
وقد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكا
في النبوة فإن لا تكن نبيا فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام
الأتقياء (٢).

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ / ٣١٠.

ويقول الإمام علي - عليه السلام - : لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه
صلى
الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان ايس من
عبادته، ثم قال له:
إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير (١).

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.
هذا هو الرافد الثاني الذي كان يرفد الشخصية العلوية بالأخلاق والسجايا الرفيعة.

٣ - البيئة الرسالية وشخصية الإمام:
ولو أضفنا ذينك الأمرين (أي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقاه في حجر النبي) إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.
ومن هنا يحظى الإمام علي - عليه السلام - بمكانة مرموقة لدى الجميع: مسلمين وغير

مسلمين، لما كان يتمتع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصة يتميز بها. وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب إلى أن يصف عليا بما لم يوصف به أحد من البشر، وينخصه بنعوت، حرم منها غيره، فهذا الدكتور شبلي شميل المتوفى ١٣٣٥ وهو من كبار

الماديين في القرن الحاضر يقول:
الإمام علي بن أبي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديما ولا حديثا (١).
وقال عمر بن الخطاب:
عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب (٢).

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٣٧.
(٢) الغدير ٦ / ٣٨ طبعة النجف.

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف:
وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن عليا بعقله وقلبه ولسانه وذي
فقاره (٢).

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٤٩.

هذه الأبعاد التي ألمحنا إليها هي الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.
البعد الرابع لشخصية الإمام - عليه السلام - :
غير أن أبعاد شخصية الإمام علي - عليه السلام - لا تنحصر في هذه الأبعاد الثلاثة،
فإن لأولياء الله سبحانه بعدا رابعا، داخلا في هوية ذاتهم، وحقية شخصيتهم وهذا
البعد هو الذي ميزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقا خاصا ولمعانا عظيما.
وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة
وثلة مختارة من بين الناس وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصيائه
أنبيائه.
نرى أنه سبحانه يأمر رسوله أن يصف نفسه بقوله: {قل سبحان ربي هل كنت إلا
بشرا رسولا} (١).

(١) الاسراء / ٩٣.

فقلوه: {بشرا} إشارة إلى الأبعاد البشرية الموجودة في كل انسان طبيعي، وإن كانوا يختلفون فيها في ما بينهم كمالا ولمعانا.
وقوله: {رسولا} إشارة إلى ذلك البعد المعنوي الذي ميزه صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس وجعله معلما وقدوة للبشر.
فلأجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركبة من بعدين: طبيعي

وإلهي ولا يقدر على توصيفها إلا بنفس ما وصفهم الله به سبحانه مثل قوله في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:
{الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (٢) وقد نزلت في حق الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - آيات ووردت روايات.

(٢) الأعراف / ٥٧.

كيف وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب - عليه السلام - (٣).

(٣) أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ٤ / ٤١٠.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:
من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليا
بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقتوا من طينتي، رزقوا
فهما وعلما، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتني، لا أنالهم
الله شفاعتي (١).

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ٨٦.

وقال الإمام أحمد بن حنبل:
ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي - رضي الله عنه -
(٢).

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي ١٦٣.

وقال الإمام الفخر الرازي:
من اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه (٣).

(٣) تفسير مفاتيح الغيب ١ / ٢٠٥.

وقال أيضا:
من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
اللهم أدر الحق مع علي حيث دار (٤).

(٤) المصدر نفسه ٢٠٤.

تسليط الضوء على شخصيته السامية
لا عتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصية كريمة معنوية خصها الله تعالى
بمواهب
وفضائل، وكفى في ذلك ما رواه طارق بن شهاب، قال: كنت عند عبد الله بن عباس
فجاء
أناس من أبناء المهاجرين فقالوا له: يا بن عباس أي رجل كان علي بن أبي طالب؟
قال: ملئ جوفه حكما وعلما وبأسا ونجدة وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم (١).

(١) شواهد التنزيل ١ / ١٠٨ ح ١٥٣.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا} إلا وعلي - عليه السلام - رأسها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان،

وما ذكر عليا إلا بخير (٢).

(٢) مسند أحمد ١ / ١٩٠، تاريخ الخلفاء ١٧١.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي
(٣).

(٣) الصواعق المحرقة، الباب التاسع، الفصل الثالث ٧٦.

وقال ابن عباس: نزلت في علي أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه (٤).

(٤) تاريخ الخلفاء ١٧٢.

ونكتفي في ترجمة علي - عليه السلام - بكلمتين عن تلميذه اللذين كانا معه سرا
وجها:
١ - قال ابن عباس - عندما سئل عن علي فقال - : رحمة الله على أبي الحسن كان
والله
علم الهدى وكهف التقى وطود النهى ومحل الحجى وغيث الندى، ومنتهى العلم
للورى،
ونورا أسفر في الدجى، وداعيا إلى المحجة العظمى ومستمسكا بالعروة الوثقى، أتقى
من تقمص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين،
وأبو
السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد، لم تر عيناى مثله، ولم أسمع بمثله، فعلى
من أبغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد (١).

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٤٨٤.

٢ - إن معاوية سأل ضرارا بن حمزة بعد موت علي عنه، فقال: صف لي عليا، فقال: أوتعفيني؟ قال: صفه، قال: أوتعفيني؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لا بد فأقول ما أعلمه منه:

والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته،

كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشِب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة، ولا نبتدئه عظمة، إن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه وقد مثل في

محرابه قابضا على لحيته يتململ يتململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأنني أسمعه وهو يقول: يا دنيا أبي تعرضت؟ أم إلي تشوقت؟ هيهات، هيهات غري غيري قد باينتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلة الزاد وبعد

السفر ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (١).

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٢٥ وغيره.

هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التي حفظها التاريخ عن تلاعب الأيدي.
غير أنه لا يعرف عليا غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

تنصيب علي - عليه السلام - للإمامة:

لا شك في أن الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأمة وأكملهم. إن في هذه المسألة وهي أن منصب القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هو منصب تنصيبي تعيني أو أنه منصب انتخابي؟ اتجاهين:

فالشريعة ترى أن مقام القيادة منصب تنصيبي، ولا بد أن ينص على خليفة النبي من السماء، بينما يرى أهل السنة أن هذا المنصب انتخابي جمهوري، أي أن على الأمة أن تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إن لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل، ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية، إلا أن ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة في ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة

في عصر الرسالة، فإن هذه الدراسة كفيلة بإثبات صحة أحد الاتجاهين.

إن تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأن خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن يعين من جانب الله تعالى، ولا يصح أن يوكل هذا إلى الأمة، فإن المجتمع الإسلامي كان مهدداً على الدوام بالخطر الثلاثي (الروم - الفرس - المنافقين) بشن الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الأمة كانت توجب أن يوحد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي،

وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو في جسم الأمة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها.

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلوب:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانية أحد أضلاع الخطر المثلث الذي يحيط بالكيان الإسلامي، ويهدده من الخارج والداخل.

وكانت هذه القوة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام، حتى أن التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة في أرض فلسطين، وقد أدت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم جعفر الطيار وزيد بن حارثة وعبد الله بن حارثة.

ولقد تسبب انسحاب الجيش الإسلامي بعد استشهاد القادة المذكورين إلى تزايد جرأة

الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش. من هنا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جدا إلى حدود الشام ليقود بنفسه أية مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش في هذا

الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيئته الغابرة، ويجدد حياته السياسية: غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأعد قبيل مرضه جيشا كبيرا من المسلمين، وأمر عليهم أسامة بن زيد، وكلفهم بالتوجه إلى حدود الشام، والحضور في تلك الجبهة. أما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدد الكيان الإسلامي، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعاداتها لدعوته، أن أقدم امبراطور إيران خسرو برويز على تمزيق رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتوجيه الإهانة إلى سفيره باخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعميله باليمن بأن يوجه إلى المدينة من يقبض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو يقتله إن امتنع. وخسرو هذا وإن قتل في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن استقلال اليمن - التي رزحت تحت استعمار الإمبراطورية الإيرانية ردحا طويلا من الزمان - لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أولئك الملوك وتجبرهم وكبرياؤهم لا يسمح

بتحمل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم. والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالتابور

الخامس على تقويض دعائم الكيان الإسلامي من الداخل إلى درجة أنهم قصدوا اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في طريق العودة من تبوك إلى المدينة. فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه، ان الحركة الإسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحيله، وبذلك يستريح الجميع (١).

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأمة الإسلامية من الداخل وذلك عندما أتى عليا - عليه السلام - وعرض عليه ان يبايعه ضد من عينه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الأمة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكن من التصيد في الماء العكر.

ولكن الإمام عليا - عليه السلام - أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفا عن دوافعه ونواياه الشريرة:
والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرا. لا حاجة لنا في نصيحتك (٢).

(٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدة بحيث تعرض القرآن لذكرهم في سور عديدة

هي: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقين والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الألداء والأقوياء الذين كانوا يترصبون بالإسلام الدوائر، ويتحينون الفرص للقضاء عليه، يصح أن يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعين لهم قائدا دينيا سياسيا؟

إن المحاسبات الاجتماعية تقول: إنه كان من الواجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأمة،... من ظهور أي اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بايجاد حصن قوي وسياس دفاعي متين حول تلك الأمة.

إن تحصين الأمة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كل فريق الزعامة لنفسه دون غيره، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقق، إلا بتعيين قائد للأمة، وعدم ترك الأمور للأقدار.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية التنصيب على القائد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعل لهذه الجهة ولجهات أخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظل يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتى الساعات الأخيرة منها، حيث عين خليفته ونص عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، وفي نهايتها أيضا.

وإليك بيان كلا هذين المقامين:

١ - النبوة والإمامة توأمان:

بغض النظر عن الأدلة العقلية والفلسفية التي تثبت صحة الرأي الأول بصورة قطعية، هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحة الموقف والرأي الذي ذهب

إليه علماء الشيعة وتصدقه، فقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مرارا وتكرارا، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام.

فهو لم يعين (ولم ينص على) خليفته ووصيه من بعده في أخريات حياته فحسب، بل

بادر إلى التعريف بخليفته ووصيه في بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعد سوى

بضع عشرة من الأشخاص، وذلك يوم امر من جانب الله العلي القدير ان ينذر عشيرته الأقربين

من العذاب الإلهي الأليم. وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع رسالته للجميع ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلا من زعماء بني هاشم وبني المطلب، ثم وقف فيهم خطيبا فقال: أيكم يؤازرنني على هذا الأمر على ن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟. فأحجم القوم، وقام علي - عليه السلام - وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقبته، والتفت إلى الحاضرين، وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم (١).

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣.

وقد عرف هذا الحديث عند المفسرين والمحدثين: ب حديث يوم الدار وحديث بدء الدعوة.

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، بل صرح في مناسبات شتى في السفر والحضر، بخلافة علي - عليه السلام - من بعده، ولكن لا يبلغ شئ من ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه

حديث

الغدِير.

٢ - قصة الغدير:

لما انتهت مراسم الحج، وتعلم المسلمون مناسك الحج من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرحيل عن مكة، والعودة إلى المدينة، فأصدر أمراً بذلك، ولما بلغ موكب الحجاج العظيم إلى منطقة رابغ (٢) التي تبعد عن الجحفة (٣) بثلاثة أميال، نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنطقة تدعى غدِير خم، وخاطبه بالآية التالية:
{ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس } (٤).

(٢) رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة.

(٣) من مواقيت الإحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

(٤) المائدة / ٦٧.

إن لسان الآية وظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسؤولية القيام بمهمة خطيرة، وأي أمر أكثر خطورة من أن ينصب عليا - عليه السلام - لمقام الخلافة من بعده علي مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد؟! من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالتوقف، فتوقف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارا إلى درجة كبيرة جدا، وكان الشخص

يضع قسما من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصنع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مظلة وكانت عبارة عن عباءة أقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد صلى الله عليه وآله وسلم على منبر أعد من أحجاج الإبل وأقتابها، وخطب في الناس رافعا صوته، وهو يقول:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس اني أوشك ان أدعى فأجيب، وأني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيرا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اشهد.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: وإني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا.

فنادى مناد: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما الثقلان؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: كتاب الله سبب طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به، والآخر عترتي، وان اللطيف الخبير نبأني إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

وهنا اخذ بيد علي - عليه السلام - ورفعها، حتى رؤي بياض إبطيهما، وعرفه الناس أجمعون ثم قال:

أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم
فقال صلى الله عليه وآله وسلم:
إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي
مولاه (١).

(١) لقد كرر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لأي
التباس أو اشتباه.

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه،
وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار (١).

(١) راجع للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلامة الأميني -
ره -.

فلما نزل من المنبر، استجاز حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قلب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:
يناديهم يوم الغدير نبيهم * بخم وأكرم بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم * فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا * ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني * رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه * فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم! وال وليه * وكن للذي عادى عليا معاديا
مصادر الواقعة:

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الإجمال، وهي بحق واقعة لا يسوغ لاحد

انكارها بأدنى مراتب التشكيك والقدح، فقد تناولها بالذكر أئمة المؤرخين أمثال: البلاذري، وابن قتيبة، والطبري، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وابن عساكر، ويقوت الحموي، وابن الأثير، وابن أبي الحديد، وابن خلكان، والياضي، وابن كثير، وابن خلدون، والذهبي، وابن حجر العسقلاني، وابن الصباغ المالكي، والمقرزي، وجلال

الدين السيوطي، ونور الدين الحلبي إلى غير ذلك من المؤرخين الذين جادت بهم القرون والأجيال.

كما ذكره أيضا أئمة الحديث أمثال: الإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن ماجه، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى الموصلي، والبغوي، والطحاوي، والحاكم النيسابوري، وابن المغازلي، والخطيب الخوارزمي، والكنجي، ومحب الدين الطبري، والحموي، والهيثمي، والجزري، والقسطلاني، والمتقي الهندي، وتاج الدين المناوي، وأبو عبد الله

الزرقاني، وابن حمزة الدمشقي إلى غير ذلك من أعلام المحدثين الذين يقصر المقال عن عددهم وحصرهم.

كما تعرض له كبار المفسرين، فقد ذكره: الطبري، والثعلبي، والواحدي في أسباب النزول، والقرطبي، وأبو السعود، والفخر الرازي، وابن كثير الشامي، والنيسابوري، وجلال الدين

السيوطي، والآلوسي، والبغدادي.
وذكره من المتكلمين طائفة جملة في خاتمة مباحث الإمامة وإن ناقشوا نقضا وإبراما

في دلالة كالقاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيدته، والقاضي عبد الرحمن الأيجي في
مواقفه، والسيد الشريف الجرجاني في شرحه، وشمس الدين الأصفهاني في مطالع
النوار،
والتفتازاني في شرح المقاصد، والقوشجي في شرح التجريد إلى غير ذلك من
المتكلمين
الذين تعرضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالة ووجه الحجة فيه.

واقعة الغدير ورمز الخلود:

أراد المولى عز وجل أن يبقى حديث الغدير غضا طريا على مر الأجيال لم يكدر صفاء حقيقته الناصعة تطاول الأحقاب، وكر الأزمان، وانصرام الأعوام، ويرجع ذلك إلى أمور ثلاثة:

١ - إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف عند منصرفه من الحج الأكبر، فنهض بالدعوة والاعلان، وحوله جموع من وجوه

الصحابة وأعيان الأمة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافة على علم وخبر بما تم إبلاغه.

٢ - إن الله سبحانه قد أنزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ - { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس } (١).

(١) المائدة / ٦٧.

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير لفيف من المفسرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلامة البحثة المحقق الأميني في كتاب الغدير نصوص عبارات هؤلاء، فمن أراد الاطلاع عليها، فليرجع إليه.

ب - {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (٢).

(٢) المائدة / ٣.

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستة عشر.
ج - {سأل سائل بعذاب واقع* للكافرين ليس له دافع* من
الله ذي المعارج} (١).

(١) المعارج / ١ - ٣.

وقد ذكر أيضا نزول هذه الآية جماعة من المفسرين ينوف على الثلاثين، أضيف إلى ذلك أن الشيعة عن بكرة أبيهم متفقون على نزول هذه الآيات الثلاث في شأن هذه الواقعة (٢).

(٢) راجع كتاب الغدير في شأن نزول هذه الآيات ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٧.

٣ - إن الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، تسابقت الشعراء والأدباء على نظمه،
وانشاده في أبيات وقصائد امتدت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النص في تلك المناسبة
إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكن البحاثة المتضلع العلامة
الأميني من استقصاء وجمع كل ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمل
والمنتظر من كافة المحققين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض همهم لجمع ما
نظم

وأُنشد في أدبهم الخاص.

وحصيلة الكلام: قلما نجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة، وفي التاريخ
الإسلامي والأمة الإسلامية خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، وقلما استقطبت
اهتمام الفئات المختلفة من المحدثين والمفسرين والكلاميين والفلاسفة والأدباء
والكتاب والخطباء وأرباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلما اعتنوا
بشيء مثلما اعتنوا بها.

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ إن يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان
معروفا بين المسلمين بيوم عيد الغدير، وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة إلى
درجة أن ابن خلكان يقول حول المستعلى ابن المستنصر:

فبويع في يوم غدير خم، وهو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجري:
وقال في ترجمة المستنصر بالله العباسي: وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت
من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، قلت، وهذه هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة
الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو غدير خم (٢).

(٢) المصدر نفسه.

وقد عده أبو ریحان البیرونی فی کتابه الآثار الباقیة مما استعمله أهل الإسلام من
الأعیاد (٣).

(٣) ترجمة الآثار الباقیة ص ٣٩٥، الغدير ج ١ ص ٢٦٧.

وليس ابن خلكان، وأبو ريحان البيروني، هما الوحيدان اللذان صرحا بكون هذا اليوم هو عيد من الأعياد، بل هذا الثعالبي قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين (٤).

(٤) ثمار القلوب ص ٥١١.

إن عهد هذا العيد الإسلامي، وجزوره ترجع إلى نفس يوم الغدير لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر المهاجرين والأنصار، بل امر زوجته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على علي - عليه السلام - وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.
يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس (١).

(١) راجع مصدره في الغدير ج ١ ص ٢٧٠.

- الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي بن أبي طالب - عليه السلام - .
بعض خصائصه
- يطيب لي أن أشير إلى بعض خصائصه قياما ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامة، فنقول: إن له خصائص لم يشترك فيها أحد:
- ١ - ولادته في جوف الكعبة.
 - ٢ - احتضان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له منذ صغره.
 - ٣ - سبقه الجميع في الإسلام.
 - ٤ - مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له من دون باقي الصحابة.
 - ٥ - حمله من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كتفه لطرح الأصنام الموضوعة في الكعبة.
 - ٦ - استمرار ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلبه.
 - ٧ - بصاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه يوم خيبر، ودعاؤه له بأن لا يصيبه حر ولا قر.
 - ٨ - إن حبه إيمان وبغضه نفاق.
 - ٩ - إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باهل النصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.
 - ١٠ - تبليغه سورة براءة عن النبي صلى الله عليه وآله.
 - ١١ - إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصه يوم الغدير بالولاية.
 - ١٢ - أنه القائل: سلوني قبل أن تفقدوني.
 - ١٣ - إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه.
 - ١٤ - إن الناس جميعا من أرباب الأديان، وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ (١).

(١) قد استخرج هذه الخصائص الكاتب القدير محمد جواد مغنية - رحمه الله - في كتابه: الشيعة والتشيع ٢٣٤.

الإمام الثاني: أبو محمد الحسن بن علي - عليهما السلام - المجتبي
هو ثاني أئمة أهل البيت الطاهر، وأول السبطين، وأحد سيدي شباب أهل الجنة،
وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء، أمه
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدة نساء العالمين.
ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أول
أولاد علي وفاطمة - عليهما السلام - .

نسب كان عليه من شمس الضحى* نور ومن فلق الصباح عمودا
وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من
الحسن بن علي - عليهما السلام - (١).

(١) ابن الصباغ المالكي (المتوفى عام ٨٥٥ هجري): الفصول المهمة ١٥٢.

فلما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي: سمه، فقال: ما كنت لاسبق باسمه رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج إليه فقال: اللهم إني أعينه بك وولده من الشيطان الرجيم وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

أشهر ألقابه: التقي والزكي والسبط.

أما علمه: فيكفي إنه كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجمع

الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط: أن رجلا دخل إلى مسجد

المدينة فوجد شخصا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل، قال: أخبرني عن {شاهد ومشهود}؟ فقال: نعم، أما الشاهد

فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة.

فتجاوزته إلى آخر غيره يحدث في المسجد، سأله عن {شاهد ومشهود} قال: أما الشاهد

فيوم الجمعة، وأما المشهود يوم النحر.

قال: فتجاوزته إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار، وهو يحدث في المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود، فقال: نعم، أما الشاهد فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عز وجل يقول: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا} (١)، وقال تعالى: {ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود} (٢).

فسأل عن الأول، فقالوا: ابن عباس، وسأل عن الثاني، فقالوا: ابن عمر، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - (٣).

(١) الأحزاب / ٤٥.

(٢) هود / ١٠٣.

(٣) بحار الأنوار ١ / ١٣.

وأما زهده: فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنه - عليه السلام - قال: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على قدميه.
وروي عن الحافظ أبي نعيم في حليته أيضا: أنه - عليه السلام - خرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ماله وتصدق به.
وكان - عليه السلام - من أزهد الناس في الدنيا ولذاتها، عارفا بغرورها وآفاتها، وكثيرا ما كان - عليه السلام - يتمثل بهذا البيت شعرا:
يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها* إن اغترارا بظل زائل حمق (٢)

(٢) ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة ١٥٤.

وأما حلمه: فقد روى ابن خلكان عن ابن عائشة: إن رجلا من أهل الشام قال: دخلت المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجهها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتأ قلبي له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: أحسبك غريبا؟ قلت: أجل، قال:

مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آتيناك أو إلى حاجة عاوناك قال: فانصرف عنه وما على الأرض أحب إلي منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي (١).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ / ٦٨.

وأما إمامته: فيكفي في ذلك ما صرح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله:
هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا....
وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين - عليه
السلام
- حين أوصى إلى ابنه الحسن - عليه السلام - وأشهد على وصيته الحسين - عليه
السلام -
ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له:
يا بني إنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أوصي إليك، وأدفع إليك
كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك
الموت
أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين - عليه السلام - فقال: وأمرك
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن
الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي فاقرأه من رسول
الله
ومني السلام (٢).

(٢) الشيخ الطبرسي (٢٠٧ - ٢٠٨ هجري): إعلام الوری بأعلام الهدى، ومن أراد الوقوف
على نصوص إمامته فعليه أن يرجع إلى الكافي ١ / ٢٩٧، واثبات الهداة ٢ / ٥٤٣ - ٥٦٨
فقد نقل خمسة نصوص في المقام.

روى أبو الفرح الأصفهاني: انه خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي - عليه

السلام - وقال: قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برأيه فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقية من

عطائه أراد أن يتاع بها خادما لأهله.

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنا ابن البشير: أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿ومن يقترف حسنة نزد له حسنا﴾ (١) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.

(١) الشورى / ٢٣.

قال أبو مخنف عن رجاله: ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه إلينا وحقه بالخلافة، فبايعوه (٢).

(٢) مقاتل الطالبين ٥٢.

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين
من
الهجرة، فرتب العمال وأمر الامراء، وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة، ونظر في
الأمر (٣).

(٣) المفيد: الارشاد ١٨٨.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: وكان أول شيء أحدثه الحسن أنه زاد في المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك (١).

(١) مقاتل الطالبين ٥٥.

قال المفيد: فلما بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه. وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأخرج وضربت عنقه (٢).

(٢) المفيد: الارشاد ١٨٨، مقاتل الطالبين ٥٢.

ثم إنه استمرت المراسلات (٣) بين الحسن معاوية وانجرت إلى حوادث مريرة إلى أن أدت إلى الصلح واضطر إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحا واليك صورته.

(٣) ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى مقاتل الطالبين ٥٣ إلى ٧٢ وبالامعان فيها وما أظهر أصحابه من التخاذل، يتضح سر صلح الإمام وتنازله عن الخلافة فلم يصلح إلا أنه أتم الحجة عليهم، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.

صلح الحسن عليه السلام مع معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله

تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا،

وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لاحد من أهل بيت رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم غائلة سوء سرا وجهراً، ولا يخيف أحداً في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيداً (١).

(١) ابن صباغ المالكي: الفصول المهمة ١٦٣.

ولما تم الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا
ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر
عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته
أشياء
وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي بشيء منها له (٢).

(٢) المفيد: الارشاد ١٩١ طبعة النجف.

شهادته:

لما نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن - عليه السلام - وما كان ذلك بغريب على

رجل

أبوه أبو سفيان وأمه هند، وهو طليق ابن طلقاء - عمد إلى اخذ البيعة ليزيد ولده -
المشهور بمجونته وتهتكه وزندقته - وما كان شئ أثقل عليه من امر الحسن بن علي -
عليهما السلام - ففسد إليه السم، فمات بسببه.

فقد روي: أن معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث (وكانت تحت الحسن - عليه السلام -)

إني

مزوجك بيزيد ابني علي أن تسمي الحسن بن علي. وبعث إليها بمائة ألف درهم،

فقبلت

وسمت الحسن، فسوغها المال ولم يزوجها منه (١).

(١) مقاتل الطالبين ٧٣.

فلما دنا موته أوصى لأخيه الحسين - عليه السلام - وقال: إذا قضيت نحبي غسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك، وبالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم.

فلما حملوه إلى روضة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشك مروان ومن معه من

بني أمية أنهم سيدفونوه عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتجمعوا له ولبسوا السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي

من لا أحب!! وجعل مروان يقول: يا رب هيجاء هي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى

المدينة ويدفن الحسن مع النبي. وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية. ولأجل وصية الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد (٢).

(٢) الارشاد ١٩٣، كشف الغمة ١ / ٢٠٩، مقاتل الطالبين ٧٤ - ٧٥.

وتوفي الحسن وله من العمر ٤٧ عاماً وكانت سنة وفاته سنة ٥٠ من الهجرة النبوية.
والعجيب أن مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: أتحمل سريره!!
أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه
الجبال (٣).

(٣) مقاتل الطالبين ٧٦.

ولما بلغ معاوية موت الحسن - عليه السلام - سجد وسجد من حوله وكبر وكبروا معه،

ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما. فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتا * ظاهر النخوة إذ مات الحسن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى * تك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به * كل حي للمنايا مرتهن (١)

(١) الأمين العاملي: في رحاب أئمة أهل البيت ٤٣.

هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير مما يرجع إلى جوانب حياته، خصوصا ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تحف العقول (٢) فقد ذكر قسما كبيرا من كلماته.

(٢) الحرائي، حسن بن شعبة، تحف العقول ٢٢٥ - ٢٣٦.

الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - سيد الشهداء
هو ثالث أئمة أهل البيت الطاهر، وثاني السبطين، وسيدي شباب أهل الجنة، وريحانتي
المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيد الشهداء،
وأمه
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولد في المدينة المنورة في الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولما ولد
جئ به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى
وأقام في اليسرى، فلما كان اليوم السابع سماه حسيناً، وعق عنه بكبش، وأمر أمه
ان تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة، كما فعلت بأخيه الحسن، فامتثلت - عليها
السلام
- ما أمرها به.

ولقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة، وقيل يوم
السبت،
وكان قد أدرك من حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خمس أو ست سنوات،
وعاش

مع أبيه ٣٦ سنة، ومع أخيه ٤٦ سنة.
إن حياة الإمام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالأحداث، والإشارة - فضلاً عن
الإحاطة - إلى كل ما يرجع إليه يحتاج إلى تأليف مفرد، وقد أغنانا في ذلك ما كتبه
المؤلفون والباحثون عن جوانب من حياته - عليه السلام - حيث تحدثوا في مؤلفاتهم
المختلفة عن النصوص الواردة من جده وأبيه في حقه، وعن علمه ومناظراته، وخطبه
وكتبه وقصار كلمه، وفصاحته وبلاغته، ومكارم أخلاقه وكرمه وجوده، وزهده،
وعبادته،
ورأفته بالفقراء والمساكين، وعن أصحابه والرواة عنه، والجيل الذي تربى على يديه.
وذلك في مؤلفات قيمة لا تعد ولا تحصى.

غير أن للحسين - عليه السلام - وراء ذلك، خصيصه أخرى وهي كفاحه وجهاده
الرسالي

والسياسي الذي عرف به، والذي أصبح مدرسة سياسية دينية، لعلها أصبحت الطابع
المميز له - عليه السلام - والصبغة التي اصطبغت حياته الشريفة بها، وأسوة وقدوة
مدى

أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثر في ضمير الأمة ووعيتها، ويحرك العقول المتفتحة،
والقلوب المستنيرة إلى التحرك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة.
وها نحن نقدم إليك نموذجا من غرر كلماته في ذلك المجال حتى تقف على كفاحه
وجهاده

أمام التيارات الإلحادية والانهياري الخلفي.

إباؤه للضميم ومعاندة الجور:

لما توفي أخوه الحسن في العام الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت
الشيعة حوله، يرجعون إليه في حلهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون
إليه ما يكون من الأحداث المهمة التي لا توافق هوى السلطة الأموية المنحرفة، والتي
قد تشكل خطرا جديا على وجودها غير المشروع، ولقد كان هم هذه السلطة هو

الإمام

الحسين - عليه السلام - لما يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن في الحق، ومن
هنا فقد كتب مروان بن الحكم - وكان عامل معاوية على المدينة - : إن رجالا من
أهل

العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وأنه لا يأمن وثوبه، ولقد
بحثت

عن ذلك فبلغني انه لا يريد الخلف يومه هذا، ولست آمن ان يكون هذا أيضا لما
بعده.

ولما بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالة إلى الحسين وهذا نصها: أما بعد: فقد انتهت
إلي أمور عنك ان كانت حقا فإني أرغب بك عنها، ولعمر الله ان من أعطى الله عهده
وميثاقه لجدير بالوفاء، وأن حق الناس بالوفاء من كان في خطرك وشرفك ومنزلتك التي
أنزلك الله لها... (١).

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٣.

ولما وصل الكتاب إلى الحسين بن علي، كتب إليه رسالة مفصلة ذكر فيها جرائمه ونقضه

ميثاقه وعهده، نقبتس منها ما يلي:

ألست قاتل حجر بن عدي أخوا كندة وأصحابه المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفزعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافا بعهده. أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعد ما أمتته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال.

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعمدا وتبعته هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على

جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على دين علي - صلوات الله عليه

- فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست

مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء

والصيف (١).

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٤.

هذا هو الحسين، وهذا هو إباؤه للضميم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين في عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التي ضبطها التاريخ.

رفضه البيعة ليزيد:

لما هلك معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ هجرية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والي المدينة أن يأخذ الحسين - عليه السلام - بالبيعة له، فأنفذ الوليد إلى الحسين - عليه السلام - فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: اجلسوا على الباب، فإذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علي.

وصار - عليه السلام - إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين - عليه السلام - ثم قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين - عليه السلام - إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أبايعه جهرا فيعرف ذلك الناس، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين - عليه السلام -: فتصبح وترى رأيك في ذلك فقال الوليد: انصرف

على اسم الله تعالى، فقال مروان: والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابدا حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين - عليه السلام - وقال: أنت يا بن الزرقاء تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت ثم خرج (١).

(١) الشيخ المفيد: الارشاد ٢٠٠ طبع النجف.

وأصبح الحسين من غده يستمع الاخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه

فقال: أبا عبد الله إني أرشدك لبيعة يزيد فإنها خير لك في دينك وفي دنياك، فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد، ثم قال: يا مروان أترشدني لبيعة يزيد!! ويزيد رجل فاسق، لقد قلت شططا من القول وزلا، ولا ألومك فإنك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عني يا عدو الله، فإننا أهل بيت رسول الله الحق فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدي رسول الله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيت معاوية على منبري فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أمروا فابتلاهم بابنه يزيد (١).

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين ١ / ١٨٤ - ١٨٥.

ثم إن الحسين غادر المدينة إلى مكة، ولما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلا طالبين منه القدوم إليهم في الكوفة لان القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الأمويين، وألحوا في ذلك الامر أيما الحاح، مبينين للإمام - عليه السلام - أن السبل ميسرة والظروف مهياة لقدمه، حيث كتب له وجهاًؤهم من جملة ما كتبوه: أما بعد: فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل علي جند لك مجندة. ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين - عليه السلام - أرسل ابن عمه مسلم بن

عقيل - رضوان الله عليه - إلى الكوفة ممثلاً عنه لأخذ البيعة له منهم، وللتحقق من جدية هذا الأمر، ثم كتب إليهم: أما بعد: فإن هائثا وسعيدا قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذاكرتم، ومقالة جلکم

انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي: انه قد اجتمع رأي ملائكم وذوو الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأته في

كتبكم، فإني أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله (١).

(١) المفيد: الارشاد ٢٠٤.

ثم خرج الإمام من مكة متوجها إلى الكوفة يوم التروية أو يوما قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته، وكان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصل إليه يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفا من أهل الكوفة، وذلك قبل أن تنقلب الأمور على مجاريها بشكل لا تصدقه العقول، حيث استطاع عبيد الله بن زياد بخبثه ودهائه، وافراطه في القتل، أن يثبط همم أهل الكوفة، وأن تنكث بيعة الإمام الحسين - عليه السلام -، ويقتل سفيره بشكل وحشي بشع.

ولما أخذ الإمام - عليه السلام - يقترب من الكوفة استقبله الحر بن يزيد الرياحي بألف فارس مبعوثا من الوالي عبيد الله بن زياد لاستقدامه واكراهه على إعطاء البيعة ليزيد وارساله قهرا إلى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحر بقوله: أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا حرم الله ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا

بالفى، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير (١).

(١) الطبري: التاريخ ٤ / ٣٠٤ حوادث سنة ٦١ هجري، وأما ما جرى على الإمام وأهل بيته حتى نزل أرض كربلاء فراجع المقاتل.

الدافع الواقعي للهجرة إلى العراق:
رغم ان الدافع الظاهري لهجرته - عليه السلام - إلى العراق كانت رسائل أهل الكوفة
ورسلهم حتى أن الإمام احتج بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي وعمرو بن سعد
عندما سألاه عن سر مجيئه إلى العراق فقال: كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم (٢).

(٢) المفيد: الارشاد ٢٢٤ - ٢٢٨.

إلا ان السر الحقيقي لهجرته - عليه السلام - رغم ادراكه الواضح لما سيترتب عليها من نتائج خطيرة ستؤدي بحياته الشريفة، وهو ما وطن نفسه - عليه السلام - عليه، يمكن

ادراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته وكيفية تعامله مع مجريات الاحداث. ان الامر الذي لا مناص من الذهاب إليه هو ادراك الإمام - عليه السلام - ما يشكله الاذعان والتسليم لتولي يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عرف عنه من تهتك ومجون وانحراف واضح عن أبسط المعايير الإسلامية، وفي هذا مؤشر خطر عن عظم الانحراف

الذي أصاب مفهوم الخلافة الإسلامية، وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعي. ومن هنا فكان لابد من وقفة شجاعة تعيد للأمة جانبا من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب. إن الإمام الحسين - عليه السلام - قد أعلنها صراحة بقوله لما طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، حيث قال: فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد كما عرفت سابقا.

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأمرء (١)، فإذا كان صلاح الأمة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها، فقيادة مثل يزيد لا تزيد الامر إلا عيثا وفسادا.

(١) القمي: سفينة البحار ٢ / ٣٠ مادة أمر.

إن القيادة الإسلامية بين التنصيب والشورى، ولم يملك يزيد السلطة لا بتنصيب من الله سبحانه ولا بشورى من الأمة، وهذا ما أدركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا إلى الحسين - عليه السلام - رسالة جاء فيها: أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضی منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها (٢).

(٢) الجزري: الكامل ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧، والارشاد ٢٠٣.

ولم يكن الولد (يزيد) فريدا في غضب حق الأمة بل سبقه والده معاوية إلى ذلك كما هو معروف وليس بنخاف على أحد، وإلى تلك الحقيقة المموجة يشير الإمام علي - عليه السلام
- في كتاب له إلى معاوية، حيث يقول:
فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك
الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد
اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك،
وملئ به صدرك، فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، برقم ٦٥.

هذا ونظائره المذكورة في التاريخ ما دفع الحسين إلى الثورة، وتقديم نفسه وأهل بيته قرايين طاهرة من أجل نصرته هذا الدين العظيم، مع علمه بأنه وفقا لما تحت يديه من الامكانيات المادية لن يستطع ان يواجه دولة كبيرة تمتلك القدرات المادية الضخمة ما يمكنها من القضاء على أي ثورة فنية، نعم إن الإمام الحسين - عليه السلام - كان يدرك قطعا هذه الحقيقة، إلا أنه أراد أن يسقي بدمائه الطاهرة المقدسة شجرة الإسلام الوارفة التي يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها.

كما أن الإمام - عليه السلام - أراد أن يكسر حاجز الخوف الذي أصاب الأمة فجعلها حائرة مترددة أمام طغيان الجبابرة وحكام الجور، وان تصبح ثورته مدرسة تتعلم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من اجل المبادئ والعقائد، وكان كل ذلك بعد استشهاد

الإمام - عليه السلام -، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان المعروف منذ ولادة الإمام الحسين - عليه السلام - أنه سيستشهد في العراق في أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه، لذا كان الناس يتربصون حدوث تلك الفاجعة، كما أن هناك الكثير من القرائن التي تدل بوضوح على حتمية استشهاد - عليه السلام -، ومن ذلك:

١ - روى غير واحد من المحدثين عن أنس بن الحارث الذي استشهد في كربلاء أنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره فخرج انس بن الحارث فقتل بها مع الحسين - عليه السلام - (١).

(١) الإصابة ١ / ٨١ برقم ٢٦٦.

٢ - إن أهل الخبرة والسياسة في عصر الإمام كانوا متفقين على أن الخروج إلى العراق يشكل خطرا كبيرا على حياة الإمام - عليه السلام - وأهل بيته ولأجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصروا عليه عدم الخروج، ويتمثل ذلك في كلام أخيه محمد ابن الحنفية، وابن عمه ابن عباس، ونساء بني عبد المطلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام وأفصح عن عزمه على الخروج (٢).

(٢) لاحظ المحاورات التي جرت بين الإمام وهؤلاء في الارشاد ٢٠١ - ٢٠٢ طبع النجف ومقاتل الطالبين ١٠٩، اللهوف ٢٠ طبعة بغداد.

٣ - لما عزم الإمام المسير إلى العراق خطب وقال: الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا ألاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكرباء فيملاًن مني أكراشا جوفاً وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى (٣).

(٣) اللهوف ٤١ طبعة بغداد.

٤ - لما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين - عليه السلام - دخل عليه فلامه في المسير، ولما رآه مصرا عليه قبل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل (١).

(١) تذكرة الخواص ٢١٧ - ٢١٨.

٥ - لما خرج الحسين - عليه السلام - من مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعجلك عن الموسم؟ قال: لو لم أعجل لآخذت، ثم قال له: أخبرني عن الناس خلفك: فقال: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيفهم عليك (٢).

(٢) الارشاد ٢١٨.

٦ - لما أتى إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، قال

لأصحابه: لقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس معه ذمام فتفرق

الناس عنه، واخذوا يمينا وشمالا، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه. ومع ذلك فقد واصل - عليه السلام - مسيره نحو الكوفة، ولما مر ببطن العقبة لقيه شيخ من بني عكرمة يقال عمر بن لوذان، فسأل الإمام: أين تريد؟ فقال له الحسين - عليه السلام - الكوفة فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف، فقال له الحسين: ليس يخفى علي الرأي، وأن الله تعالى لا يغلب على أمره (٣).

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٣.

وفي نفس النص دلالة على أن الإمام كان يدرك ما كان يتخوفه غيره، وأن مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة من أجل نصرته الدين ورد

كيد أعدائه، وحتى لا تبقى لاحد حجة يتذرع بها لتبرير تخاذله وضعفه. نعم لقد كان الحسين - عليه السلام - على بينة من أمره وما سيؤول إليه سفره من مصير

محتوم، فلا شيء يقف امام ارادته من اجل اعلاء كلمة الدين وتثبيت دعائمه التي أراد الأمويون تقويضها، أنظر إليه وهو يخاطب الحر بن يزيد الرياحي الذي يحذره من مغبة اصراره على موقفه حيث يقول له: أقبال موت تخوفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني،

وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرته رسول الله فخوفه ابن عمه وقال:

أين تذهب فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مشوراً وخالف مجرماً

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم * كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً (١)

(١) المفيد: الارشاد ٢٢٥، والطبري في تاريخه ٥ / ٢٠٤.

ثم إنه كان لشهادة الحسين - عليه السلام - أثر كبير في ايقاظ شعور الأمة وتشجيعها على الثورة ضد الحكومة الأموية التي أصبحت رمزا للفساد والانحراف عن الدين، ولأجل ذلك توالى الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين في العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقق هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الأساسي في سقوط

الحكومة الأموية بعد زمان.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين - عليه السلام - وأصحابه - رضي الله عنهم

- يوم

الطف لما قام للإسلام عمود، ولا اخضر له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدنوه في أول عهده في لحده. فالمسلمون جميعا بل الإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين - عليه السلام - وأصحابه - رضي الله عنهم - (١).

(١) جنة المأوى ٢٠٨ للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

بلى، أنى للإمام الحسين - عليه السلام - الاذعان لحقيقة تسلم يزيد مقاليد خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يزيد المنحرف الفاسد، عدو الله وعدو رسوله، الذي لم يستطع اخفاء دفائنه عندما أحضر رأس سيد الشهداء بين يديه حيث أنشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلنا قتل بدر فاعتدل
لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل (٢)

(٢) البيتان الأولان لابن الزبيرى، والثلاثة الأخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص
.٢٣٥

وأما بيان خروجه من مكة متوجها إلى العراق والحوادث التي تعرضت له في مسيره إلى أن نزل بأرض كربلاء، والتي استشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ٧٢ شخصا،
ظمانا وعطشانا، فهو خارج عن موضوع البحث. وقد أُلّف فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات. فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - زين العابدين هو رابع أئمة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين العابدين أو سيدهم، والسجاد، وذو الثفات.

ولد في المدينة سنة ٣٨ أو ٣٧ هجري، وتوفي بها عام ٩٥ أو ٩٤ هجري، يوم السبت الثاني

عشر من محرم.

قال ابن خلكان: هو أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين. قال الزهري: ما رأيت

قرشيا أفضل منه. وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصي وتذكر، ولما توفي دفن في البقيع في جنب عمه الحسن في القبّة التي فيها قبر العباس - رضي الله عنه - (١).

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٩.

ولقد تولى الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسين - عليه السلام - في كربلاء، وللإطلاع على النصوص الواردة في إمامته ينبغي الرجوع إلى كتب الحديث والعقائد المتكفلة بهذا

الجانب المهم، وأخص منها بالذكر كتاب الكافي للكليني، والإرشاد للشيخ المفيد، وكفاية الأثر للخزار، واثبات الهداة للحر العاملي. ومن أراد الإطلاع على مناقبه وكراماته وفضائله في مجالات شتى كالعلم، والحلم، والجرأة والاقدام، وثبات الجنان، وشدة الكرم والسخاء، والورع، والزهد، والتقوى، وكثرة التهجد والتنفل، والفصاحة والبلاغة، وشدة هيئته بين الناس ومحبتهم له، وتربيته لجيل عظيم من الصحابة والعلماء أوقفوا حياتهم في خدمة الإسلام، وغير ذلك مما لا يسعنا التعرض لها هنا، فعليه طلب ذلك في الموسوعات المتعددة التي تعرضت لذلك بالشرح والتفصيل.

جوانب من سيرته عليه السلام
إلا أنا نكتفي هنا بجانب من سيرته - عليه السلام - تتعلق بجملة محددة من
الأمور:

١ - هيئته ومنزلته العظيمة:

لقد كان - عليه السلام - مهابا جليلا بين الناس بشكل كبير، حتى أن هذه المنزلة
العظيمة جعلت الامراء والحكام يحسدونه عليها، والتاريخ يذكر لنا على ذلك شواهد
كثيرة ومتعددة، ومن ذلك:

لما حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم
يمكنه ذلك، وجاء علي بن الحسين - عليهما السلام - فتوقف له الناس، وتنحوا حتى
استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه (مع أنه كان يعرفه أنه علي بن
الحسين - عليه السلام -) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنني أعرفه، هذا علي بن الحسين
زين

العابدين، وأنشد هشاما قصيدته التي منها هذه الأبيات:
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضي من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسم
إذا رآته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
إلى آخر القصيدة التي حفظتها الأمة وشطرها جماعة من الشعراء. وقد ثقل ذلك على
هشام

فأمر بحبسه، فحبسه بين مكة والمدينة، فقال معترضا على عمل هشام:
أحبسني بين المدينة والتي * إليها قلوب الناس يهوى منيها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها
فأخرجه من الحبس فوجه إليه علي بن الحسين - عليهما السلام - عشرة آلاف درهم
وقال:

اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها
الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلا لله، فقال له علي - عليه السلام - قد رأى الله
مكانك فشكرك، ولكننا أهل بيت إذا أنفدنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها.

٢ - زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

أما زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من الله فغني عن البيان. فقد روي عنه -

عليه السلام - أنه إذا توضعاً اصفر لونه، فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقف. ومن كلماته - عليه السلام - أن قوما عبدوا الله رياضة فتلك عبادة العبيد، وأن قوما عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وأن قوما عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار. وكان إذا أتاه سائل يقول له: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة. وكان - عليه السلام - كثير الصدقات حريصاً عليها، وكان يوصل صدقاته ليلاً دون أن يعلم به أحد، وقد روي أنه - عليه السلام - كان يعول مائة عائلة من أهالي المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات، ولما توفي - عليه السلام - أدركوا ذلك. وفي رواية: أنه - عليه السلام - كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: صدقة السر تطفئ غضب الرب. وفي رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين - عليه السلام - (١).

(١) تذكرة الخواص ٢٩٤.

وقال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت رجلا أروع من فلان - وسمى رجلا - فقال له

سعيد: أما رأيت علي بن الحسين؟ فقال: لا، فقال: ما رأيت أروع منه.

وقال أبو حازم: ما رأيت هاشميا أفضل من علي بن الحسين.

وقال طاووس: رأيت علي بن الحسين - عليهما السلام - ساجدا في الحجر فقلت:

رجل صالح

من أهل بيت طيب لأسمعن ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول: عبيدك بفنائك،

مسكينك

بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك قال طاووس: فوالله ما دعوت بهن في كرب إلا كشف عني.

وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشيا عليه، وكانت الريح

تميله كالسنبل، وكان يوما خارجا فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي،

فقال لهم علي - عليه السلام - : مهلا كفوا ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: ما

ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فألقى إليه - عليه

السلام - خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول:

أشهد

أنك من أولاد الرسل (٢).

(٢) كشف الغمة ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٣.

الثروة العلمية للإمام:
أما الثروة العلمية والعرفانية، فهي أدعيته التي رواها المحدثون بأسانيدهم المتضافرة، والتي جمعت بما أسمى بالصحيفة السجادية المنتشرة في العالم، فهي زبور آل محمد، ومن الخسارة الفادحة ان إخواننا أهل السنة - إلا النادر القليل منهم - غير واقفين على هذا الأثر القيم الخالد.
نعم، ان فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلو مضامينها، وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسل إليه، أقوى شاهد على صحة نسبتها إليه، وان هذا الدر من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافا إلى اشتهاها شهرة لا تقبل الريب، وتعدد أسانيد المتصلة، إلى منشئها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعددة المتصلة، إلى زين العابدين (١).

(١) في رحاب أئمة أهل البيت ٣ / ٤١٤.

وقد أرسل أحد الاعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة إلى العلامة الشيخ الطنطاوي (المتوفى عام ١٣٥٨ هجري) صاحب التفسير المعروف، فكتب في جواب رسالته: ومن الشقاء
إنا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد في مواريث النبوة وأهل البيت،
وإني كلما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق (٢).

(٢) مقدمة الصحيفة بقلم العلامة المرعشي - قدس سره - ٢٨.

وكان المعروف بين الشيعة هو الصحيفة الأولى التي تتضمن واحدا وستين دعاء في فنون

الخير وأنواع السؤال من الله سبحانه، والتي تعلم الإنسان كيف يلجأ إلى ربه في الشدائد والمهمات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلل ويتضرع له، وكيف يحمد ويشكر

له. غير أن لفيفا من العلماء استدركوا عليها فجمعوا من شوارد ادعيته صحائف خمسة أخيرتها ما جمعه العلامة السيد محسن الأمين العاملي - قدس سره -.

ولقد قام العلامة الحجة السيد محمد باقر الأبطحي - دام ظله - بجمع جميع أدعية الإمام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد، وقال في مقدمته:

وحرى بنا القول إن ادعيته - عليه السلام - كانت ذات وجهين: وجهها عباديا، وآخر

اجتماعيا يتسق مع مسار الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام - عليه السلام - في ذلك الظرف الصعب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسددة ان يمنح ادعيته - إلى جانب

روحها

التعبدية - محتوى اجتماعيا متعدد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة، فهو - عليه السلام - صاحب مدرسة الهيئة، تارة يعلم المؤمن كيف

يمجد

الله ويقدسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأخرى يسلك به

درب

التعامل السليم مع المجتمع فيعلمه أسلوب البر بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثم يبين فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي، كل ذلك بأسلوب تعليمي رائع وبلغ.

وصفوة القول: إنها كانت أسلوبا مبتكرا في إيصال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى القلوب الظمأى، والأفئدة التي تهوى إليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق عملية تربوية نموذجية من الطراز الأول، أسس بناءها الإمام السجاد - عليه السلام - مستلهما جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين (١).

(١) الصحيفة السجادية الجامعة ١٣.

ومن أدعيته - عليه السلام - في هذه الصحيفة دعاؤه في يوم عرفة، ومنه:
اللهم هذا يوم عرفة، يوم شرفته وكرمته وعظمته، نشرت فيه رحمتك،
ومننت فيه بعفوك، وأجزلت فيه عطيتك، وتفضلت به على عبادك.
اللهم وأنا عبدك الذي أنعمت عليه قبل خلقك له، وبعد خلقك إياه،
فجعلته ممن هديته لدينك، ووفقته لحقك، وعصمته بحبلك،
وأدخلته في حزبك، وأرشدته لموالاته أوليائك ومعاداة أعدائك.
رسالة الحقوق:

إن للإمام علي بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردتها الصدوق في
خصاله (٢) بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة في تحف العقول (٣) مرسله، وبين
النقلين
اختلاف يسير.

(٢) الخصال ٥٦٤ - ٥٧٠ في أبواب الخمسين.
(٣) تحف العقول ١٨٣ - ١٩٥.

وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، يذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين

والبطن والفرج، ثم يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدى...

التي تبلغ خمسين حقاً، آخرها حق الذمة.

كما روى الحفاظ وتلاميذ مدرسته أحاديث وحكما مختلفة جليلة حوتها بطون الكتب المختلفة، جمع الكثير منها العلامة المجلسي في موسوعته الموسومة ببحار الأنوار، من مختلف المصادر، فراجع.

الإمام الخامس: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين - عليهم السلام - الباقر هو خامس أئمة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قال ابن منظور في لسان العرب: لقب به لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسع فيه (١).

(١) لسان العرب ٤ / ٧٤.

وقال ابن حجر: سمي بذلك لأنه من بقر الأرض أي شقها، وإثارة مخبأتها، ومكانها،
فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الاحكام، والحكم واللطائف ما
لا يخفى
إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم
وجامعه وشاهر علمه ورافعه (٢).

(٢) الصواعق المحرقة ٢٠١.

وقال ابن كثير: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمي بالباقر

لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذا كرا خاشعا صابرا، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفا بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضا عن الجدال والخصومات (١).

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩.

وقال ابن خلكان: أبو جعفر محمد بن زين العابدين، الملقب بالباقر، أحد الأئمة
الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالما سيدا
كبيرا، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع، وفيه يقول الشاعر:
يا باقر العلم لأهل التقى* وخير من لبي على الأجل (٢)

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤.

ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ هجري وقيل ٥٦ هجري، وتوفي في السابع من ذي
الحجة سنة

١١٤ هجري، وعمره الشريف ٥٧ سنة. عاش مع جده الحسين - عليه السلام - ٤
سنين، ومع

أبيه - عليه السلام - بعد جده - عليه السلام - تسعا وثلاثين سنة، وكانت مدة
إمامته - عليه السلام - ١٨ سنة (٣).

(٣) إعلام الوری بأعلام الهدى ٢٦٤ - ٢٦٥.

وأما النصوص الدالة على إمامته من أبيه وأجداده والتي ذكرها المحدثون والمحققون من علمائنا الاعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني - رضي الله عنه - وغيره.
قال ابن سعد: محمد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عالما عابدا ثقة، وروى عنه الأئمة أبو حنيفة وغيره.
قال أبو يوسف: قلت لأبي حنيفة: لقيت محمد بن علي الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوما فقلت له: أراد الله المعاصي؟ فقال: أفيعصى قهرا؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جوابا أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم

عنده كأنه مغلوب، ويعني الحكم بن عيينة، وكان عالما نبيلاً جليلاً في زمانه.
وذكر المدائني: عن جابر بن عبد الله: أنه أتى أبا جعفر محمد بن علي إلى الكتاب وهو صغير فقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلم عليك، فقيل لجابر: وكيف

هذا؟ فقال: كنت جالسا عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد، اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام.
وذكر ابن الصباغ المالكي بعد نقل القصة: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر: وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك في الدنيا قليل فلم يعيش جابر بعد ذلك إلا ثلاثة أيام. ثم قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيام، وفضيلة شهد له بها الخاص والعام (١).

(١) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٠٢ - ٣٠٣، الفصول المهمة ٢١٥ - ٢١٦.

وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين - عليهما السلام - في علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر - عليه السلام - (١).

(١) الارشاد ٢٦٢.

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر
كلامه الاخبار وأنشدت في مدائحه الأشعار... (٢).

(٢) الفصول المهمة ٢١٠ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد ٢٦١، فلاحظ.

قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت
أوقاته
بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله
كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة (٣).

(٣) الصواعق المحرقة ٣٠١.

وأما مناظراته مع المخالفين فحدث عنه ولا حرج، وقد جمعها العلامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج (٤).

(٤) الاحتجاج ٢ / ٥٤ - ٦٩ طبع النجف.

قال الشيخ المفيد في الارشاد: وجاءت الاخبار: ان نافع بن الأزرق (٥) جاء إلى
محمد
بن علي فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام.

(٥) الارشاد ٢٦٥، ولعل المناظر هو عبد الله بن نافع بن الأزرق، لان نافعا قتل
عام ٦٥ من الهجرة وللإمام عندئذ من العمر دون العشرة، وقد نقل ابن شهر آشوب بعض
مناظرات الإمام مع عبد الله بن نافع فلاحظ ٤ / ٢٠١.

فقال له أبو جعفر في عرض كلامه: قل لهذه المارقة، بم استحلتتم فراق أمير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟ فسيقولون لك: إنه حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم رجلين من خلقه فقال: {فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما}، وحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما أمضاه الله، أو ما علمتم أن أمير المؤمنين إنما امر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه، واشتراط رد ما خالف القرآن في أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: حكمت على نفسك من حكم عليك؟ فقال: ما حكمت مخلوقا

وإنما حكمت كتاب الله. فأين تجد المارقة تضليل من امر بالحكم بالقرآن، واشتراط رد

ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان؟ فقال نافع بن الأزرق: هذا والله كلام ما مر بسمعي قط ولا خطر مني ببال، وهو الحق إن شاء الله. ثم إن الشيعة الإمامية اخذت كثيرا من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده البار جعفر الصادق وحسب الترتيب المتداول في الكتب الفقهية، حيث روي عنه - عليه السلام - الكثير من الروايات الفقهية التي تناولت مختلف جوانب الحياة، وللإطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة. وأما ما روي عنه في الحكم والمواعظ، فقد نقلها أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، والحسن بن شعبة الحراني في تحفه (١).

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ - ٢٣٥ وفي بعض ما نقل عنه تأمل ونظر. والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ٢٨٤ - ٣٠٠.

وقد توفي الإمام محمد الباقر - عليه السلام - عام ١١٤ هجري، ودفن في جنب قبر أبيه في البقيع، ومن أراد البحث عن فصول حياته في شتى المجالات فليراجع الموسوعات التي تحفل بها المكتبات العامة والخاصة.

الإمام السادس: جعفر بن محمد - عليهما السلام - الصادق
هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الطاهر - رضي الله عنهم أجمعين - ولقب
بالصادق لصدقه في مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ٨٠ هجري، وتوفي عام

١٤٨

هجري، ودفن في البقيع جنب قبر أبيه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده
الحسن بن علي - رضي الله عنهم أجمعين - فله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه (١).

(١) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ رقم الترجمة ٣١.

قال محمد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة،

وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والافتداء بهداه يورث الجنة، نور قسماته شاهد انه من سلالة النبوة وطهارة أفعاله تصدع انه من ذرية الرسالة: نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة واعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن انس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأبو

أيوب السجستاني وغيرهم، وعدوا اخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها (١).

(١) كشف الغمة ٢ / ٣٦٨ وفيه أيوب السجستاني والصحيح ما ذكرناه.

ذكر أبو القاسم البغار في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفاقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة

ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهىء لي من مسائك الشداد، فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إلي أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته. فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه، فأوماً إلي فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال: نعم اعرفه، ثم التفت إلي فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائك فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أحل منها بشئ. ثم قال أبو حنيفة: أليس أن أعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس (١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧ ص ٢١٧ - ٢١٨. أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ٤ ص ٣٣٥ نقلاً عن مناقب أبي حنيفة للمكي ج ١ ص ١٧٣، وجامع مسانيد أبي حنيفة ج ١ ص ٢٥٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٧.

عن مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على إحدى
ثلاث

خصال: اما مصبل وأما صائم وأما يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر
على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا (٣).

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٥٣ نقلا عن التهذيب، ج ٢ ص ١٠٤ والمجالس
السنية ج ٥.

وعن أبي بحر الجاحظ (مع عدائه لأهل البيت): جعفر بن محمد الذي ملاً الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب (٣).

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٥٥ نقلا عن رسائل الجاحظ، ص ١٠٦.

وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أن من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الاحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه .(٤)

(٤) كشف الغمة ٢ / ٣٦٨.

وقال ابن الصباغ المالكي: كان جعفر الصادق - عليه السلام - من بين اخوته، خليفة أبيه، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده، برز على جماعة بالفضل، وكان أنبههم ذكرا وأجلهم قدرا، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث. إنك إذا تتبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلها تعرب عن اتفاق الأمة على إمامته في العلم والقيادة الروحية، وإن اختلفوا في كونه إماما منصوبا من قبل الله عز وجل، فذهبت الشيعة إلى الثاني نظرا إلى النصوص المتواترة المذكورة في مظانها (١).

(١) لاحظ الكافي ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧.

ولقد امتد عصر الإمام الصادق - عليه السلام - من آخر خلافة عبد الملك بن مروان إلى وسط خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة ٨٣ هجري إلى سنة ١٤٨ هجري فقد أدرك طرفا كبيرا من العصر الأموي، وعاصر كثيرا من ملوكهم وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى حياته الأولى حتى الحادية عشر من عمره مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ في ظلهما يتغذى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربى تربيته الدينية، وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاخصص بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤ هجري، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية. وقد اتسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغربية إلى المجتمع الإسلامي وأهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة، الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين المسلمين، وترعرعت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام، فقد اغتتموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي، فكانوا يثنون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغروا به العامة، فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بابي جعفر الباقر ويروي عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق - عليه السلام - كذبه والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروى عنه، فقال: لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة. ثم إن الإمام قام بهداية الأمة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأمويين ومعارضيه من العباسيين، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغل الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جده، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان، وتربى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاء. ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات - على اختلاف آرائهم ومقالاتهم - فكانوا أربعة آلاف رجل (١). وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمة - عليه وعليهم السلام -.

(١) الارشاد ٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٢٥٧.

(١١٨)

إن الإمام - عليه السلام - شرع بالرواية عن جده وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣ هجري (١) حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسربت إلى السنة، العديد من الروايات الإسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرترقة البلاط الأموي.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي خلافة المنصور الدوانيقي، فقد حدد تاريخ التدوين بسنة ١٤٣ هجري.

ومن هنا فقد وجد الإمام - عليه السلام - أن أمر السنة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد - عليه السلام - للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتي تسرب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم.

إن تلك الفترة شكلت تحدياً خطيراً لوجود السنة النبوية، وخلطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات، لذا فإن الإمام - عليه السلام - كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

إن علوم أهل البيت - عليهم السلام - متوارثة عن جدهم المصطفى محمد صلى الله عليه

وآله وسلم، الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل - عليه السلام -، فلا غرو أن تجد الأمة ضالتها فيهم - عليهم السلام -، وتجد مرفأ الأمان في هذه اللجج العظيمة، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، أو

أسانيد مشوشة، تجد أن الإمام الصادق - عليه السلام - يقول: حديثي حديث أبي، وحديث

أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عز وجل.

بيد أن ما يثير العجب أن تجد من يعرض عن دوحة النبوة إلى رجال قد كانوا وبالاً على الإسلام وأهله وتلك وصمة عار وتقصير لا عذر فيه خصوصاً في صحيح البخاري. فالإمام البخاري مثلاً يروي ويحتج بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطان وحريز بن

عثمان الرحبي وغيرهم، ويعرض عن الرواية عن الإمام الصادق - عليه السلام -.

أما الأول: فهو الوزغ ابن الوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الثاني: فهو الخارجي المعروف الذي أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأما الثالث: فكان ينتقص علياً وينال منه، ولست أدري لم هذا الأمر، إنه مجرد تساؤل.

إن للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث في الأحكام التي تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدون في عصره، والمتقشفين من الصوفية، ضبط المحققون كثيراً منها، وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الإمام - عليه السلام -، وأما الرواية عنه في الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث.

حتى أن الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ

كل يقول حدثني جعفر بن محمد (١).

(١) الرجال للنجاشي ١٣٩ برقم ٧٩.

وأما ما اثر عنه من المعارف والعقائد فحدث عنها ولا حرج، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانها (٢).

(٢) الاحتجاج ٢ / ٦٩ - ١٥٥ والتوحيد للصدوق، وقد بسطها على أبواب مختلفة.

يقول سيد أمير علي بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الإمام، يقول:
ولم تتخذ الآراء الدينية اتجاهها فلسفياً إلا عند الفاطميين، ذلك أن انتشار
العلم في ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية
عامة في
كل مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر ان زعامة تلك الحركة الفكرية انما
وجدت
في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي أسسها حفيد علي بن أبي طالب
المسمى
بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وكان رجلاً باحثاً ومفكراً كبيراً جيد الإمام بعلم
ذلك العصر، ويعتبر أول من أسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام.
ولم يكن يحضر محاضراته أولئك الذين أسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب (١)
بل كان
يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية، وكان الإمام الحسن البصري
مؤسس
المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة، وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من
تلاميذه،
الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والإمام العلوي بدعوتهما إلى حرية
إرادة الإنسان... (٢)

(٢) مختصر تاريخ العرب، تعريب: عفيف البعلبكي ص ١٩٣.

وأما حكمه وقصار كلمه، فلاحظ تحف العقول، وأما رسائله فكثيرة منها رسالته إلى النجاشي والي الأهواز، ومنها: رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال، ومنها: ما أملاه في التوحيد للمفضل بن عمر، إلى غير ذلك من الرسائل التي رسمها بخطه (١).

(١) ولقد جمع أسماء هذه الرسائل السيد الأمين في أعيانه ١ / ٦٦٨.

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهي وصيته لسفيان الثوري:
الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه (٢)، أفضل
من
روايتك حديثا لم تحصه.
إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه
فدعوه (٣).

(٢) أي لم تروه عن طريق صحيح، والفعل مبني للمجهول.
(٣) اليعقوبي، التاريخ ج ٣ ص ١١٥.

ونختم هذا البحث بما قاله أبو زهرة في هذا المجال:
إن للإمام الصادق فضل السبق وله على الأكابر فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه،
ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه
دارسا راويا وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلا.
وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيد أهل المدينة في عصره فضلا
وشرفا
ودينا وعلماء، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين وهو ابن محمد
الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف
الإضافي بكريم النسب، والقراية الهاشمية، والعترة المحمدية (٤).

(٤) محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٣٠.

وبما كتبه الأستاذ أسد حيدر إذ قال:
كان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم
الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ
أكبادها، ومن
كل قبيلة من بني أسد ومخارق، وطبي، وسليم، وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة،
وختعم،
ومخزوم، وبني ضبة، ومن قريش، ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني
الحسن بن
الحسن بن علي (١).

(١) أسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٣٨ نقلا عن كتاب جعفر بن محمد، لسيد الأهل.

ولما توفي الإمام شيعه عامة الناس في المدينة، وحمل إلى البقيع ودفن في جوار
أبيه وجده - عليهما السلام -، وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلي قوله:
أقول وقد راحوا به يحملونه * علي كاهل من حامله وعاتق
أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى * ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه * ترابا وأولى كان فوق المفارق
فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر - عليهما السلام - الكاظم
سابع أئمة أهل البيت الطاهر. ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ٧ صفر
سنة ١٢٨ هجري، واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ١٨٣ هجري، ودفن في
بغداد في الجانب

الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية.
كان - عليه السلام - أنموذج عصره، وفريد دهره، جليل القدر، عظيم المنزلة، مهيب
الطلعة، كثير التعبد، يطوي ليله قائما ونهاره صائما، عظيم الحلم، شديد التجاوز،
حتى سمي لذلك كاظما، لاقى من المحن ما تنهد لهولها الجبال فلم تحرك منه طرفا،
بل كان - عليه السلام - صابرا محتسبا كحال آبائه وأجداده - عليهم السلام - .
يعرف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.
قال ابن الصباغ: روى عبد الاعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله
جعفر

الصادق - عليه السلام - : خذ بيدي من النار، من لنا بعدك؟ فدخل موسى الكاظم وهو
يومئذ غلام، فقال [أي الصادق - عليه السلام -] هذا صاحبكم فتمسك به (١).

(١) الفصول المهمة ٢٣١.

قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلي الأقوال عليه من أبيه بأنه ولي عهده والإمام القائم من بعده (٢).

(٢) لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ١ / ٣٠٧ - ٣١١، اثبات الهداة ٣ / ١٥٦ - ١٧٠
فقد نقل في الأخير ٦٠ نصا على إمامته.

وقد تولى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق - عليه السلام - في وقت شهدت فيه الدولة العباسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فتنكرت للشعار الذي كانت تنادي به من الدعوة لآل محمد - عليه وعليهم السلام -، فالتفتت إلى الوريث الشرعي لشجرة النبوة مشهرة سيف العداة له ولشيعة تلافيا من تعاظم نفوذه ان يؤتي على أركان دولتهم وينقضها، فشهد الإمام الكاظم - عليه السلام - طيلة سني حياته صنوف التضيق والمزاحمة، الا أن ذلك لم يمنعه - عليه السلام - من أن يؤدي رسالته في حماية الدين وقيادة الأمة، فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة، ومعينا لا ينضب من الحلم والكرم والسخاء، ونموذجا عظيما لا يدانى في التعبد والزهد والخوف من الله تعالى.

روايات عن سيرته العطرة
ولقد أفرد الباحثون والمحققون تأليف كثيرة في سيرة هذا الإمام العظيم، كفتنا عن
التعرض لها هنا في هذه العجالة، إلا أننا سنحاول في هذه الصفحات التعرض لجوانب
مختارة من تلك السيرة العطرة:

١ - روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال: حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم زائراً، وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر
قال: السلام عليك يا رسول الله يا بن عمي - افتخارا على من حوله -، فدنا موسى بن
جعفر فقال: السلام عليك يا أبة فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن
حقا (١).

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٩.

٢ - ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: أن هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا أبا الحسن
خذ فذك (٢) حتى أردتها عليك، فيأبى، حتى ألح عليه فقال: لا آخذها إلا بحدودها
قال: وما حدودها؟ قال: يا أمير المؤمنين إن حددتها لم تردّها، قال: بحق جدك إلا
فعلت، قال: أما الحد الأول فعدن فتغير وجه الرشيد وقال: هيه، قال: والحد
الثاني سمرقند فأربد وجهه، قال: والحد الثالث إفريقيا فاسود وجهه وقال: هيه،
قال: والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وإرمينية، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء
فتحول في مجلسي، قال موسى - عليه السلام - : قد أعلمتك أنني إن حددتها لم
تردها.

(٢) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله تعالى على
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم صلحا سنة سبع من الهجرة، وأعطاه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم إلى ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين - عليها السلام - ،
وكانت ملكا لها في حياته تستفاد من خيراتها، إلا أن أبا بكر حرمها منها فاغتازلت
منه الزهراء وحاجته في ذلك الأمر لكنه أبى، وبقيت فذك هكذا حتى ردها الخليفة
الأموي عمر بن عبد العزيز إلى أبناء فاطمة - عليها السلام - ثم نزعها منهم يزيد بن
عبد الملك، فلم تنزل في أيدي الأمويين حتى ولي العباسيون فدفعها أبو العباس السفاح
إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم أخذها المنصور، ثم أعادها ولده
المهدي، ثم أخذها موسى الهادي، إلى أن ولي المأمون فأعادها إليهم.

فَعِنْدَ ذَٰلِكَ عَزَمَ عَلٰى قَتْلِهِ (١).

(١) ربيع الأبرار ١ / ٣١٥.

٣ - كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس ويخر
لله

ساجدا، لا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس.
وكان يدعو كثيرا فيقول: اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند
الحساب، ويكرر ذلك.

وكان من دعائه - عليه السلام - عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك.
وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع.
وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والأدقة
والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو (٢).

(٢) المفيد: الارشاد ٢٩٦.

٤ - في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت في أيام أبي عبد الله

الصادق - عليه السلام - فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه،

إذ خرج صبي فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: علي رسلك، ثم جلس مستندا إلى الحائط، ثم قال: توق شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له: ما اسمك؟ فقال: أنا

موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقلت له: يا غلام ممن

المعصية؟ فقال: إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إما أن تكون من الله وليست من العبد فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب، وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد

- وهي منه - فإن عفا فبكرمه وجوده وإن عاقب فبذنب العبد وجريته.

قال أبو حنيفة: فأنصرفت ولم ألق أبا عبد الله واستغنيت بما سمعت.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب نحوه إلا أنه قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين الجار، وقال: فلما سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي. وقال في آخر الحديث: فقلت: ذرية بعضها من بعض (١).

(١) تحف العقول ٣٠٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٣١٤.

٥ - روى أبو الفرج الأصفهاني: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر إذا بلغه

عن الرجل ما يكره بعث إليه بصره دنائير. وكانت صراره ما بين الثلاثمائة وإلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلاً. وقال: إن رجلاً من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي طالب إذا رأى موسى بن

جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا. فلم يصغ إليه وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت علي زرعك

هذا؟ قال: مائة درهم، قال: كم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري، قال: إنما سألتك كم ترجو، قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له، فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج وسلم عليه ويقوم له، فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت (١).

(١) مقاتل الطالبين ٤٩٩ - ٥٠٠، تاريخ بغداد ٢٨.

٦ - حكي أن الرشيد سأله يوماً: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم بنو علي وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه؟ فقال الكاظم - عليه السلام - : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: {ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين*} وذكريا ويحيى وعيسى وإلياس... { وليس لعيسى أب إنما ألحق بذرية الأنبياء من قبل أمه، وكذلك ألحقنا بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة الزهراء، وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين: قال الله عز وجل: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل...} ولم يدع صلى الله عليه وآله وسلم عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء (١).

(١) الفصول المهمة ٢٣٨، والآيتان من سورتي الأنعام ٨٤، وآل عمران ٦١.

٧ - أما علمه والحديث عنه فقد روى عنه العلماء في فنون العلم ما ملأ الكتب، وكان يعرف بين الرواة بالعلم. وقد روى الناس عنه فأكثرُوا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله (٢).

(٢) المفيد: الارشاد ٢٩٨، ولاحظ جوانب من حكمه ووصاياه في الكافي ١ / ١٣ - ٢٠، وتحف العقول ٢٨٣.

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن هارون الرشيد قام باعتقال الإمام الكاظم - عليه السلام - وإيداعه السجن لسنتين طويلة مع تأكيد على سجنه بالتشديد والتضييق عليه. قال ابن كثير: فلما طال سجن الإمام الكاظم - عليه السلام - كتب إلى الرشيد: أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون (٣).

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

ولم يزل ذلك الامر بالإمام - عليه السلام -، ينقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شاهك (١)، وكان فاجرا فاسقا، لا يتورع عن أي شيء تملقا

ومداهنة للسلطان، فعالي في سجن الإمام - عليه السلام - وزاد في تقييده حتى جاء أمر

الرشيد بدس السم للكاظم - عليه السلام -، فأسرع السندي إلى انفاذ هذا الأمر العظيم واستشهد الإمام - عليه السلام - بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ هجري.

(١) قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ٥٠٢: لما اعتقل الرشيد الإمام الكاظم - عليه السلام - أمر بارساله إلى البصرة ليسجن عند عيسى بن جعفر المنصور، وكان على البصرة حينئذ، فحبس عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد: أن خذه مني وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى أني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك، فما أسمع يدعو إلا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجه الرشيد من تسلمه، وحبسه عند الفضل بن الربيع في بغداد، فبقي عنده مدة طويلة، ثم كتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلمه منه، وطلب منه أن يعمد إلى قتل الإمام كما طلب من عيسى بن جعفر فلم يفعل، بل عمد إلى إكرام الإمام - عليه السلام -

والاحتفاء به ولما بلغ الرشيد ذلك أمر به أن يجلد مائة سوط، ثم أخذ الإمام منه وسلمه إلى السندي بن شاهك لعنه الله، وكانت نهاية حياة الإمام الطاهرة على يده الفاجرة.

ولما كان الرشيد يخشى ردة فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الإمام - عليه السلام -، لذا عمد إلى حيلة ماكرة للتوصل من تبعة هذا الأمر الجلل، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني وغيره (٢): إن الإمام الكاظم لما توفي مسموما أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ليشهدوا على أنه مات حتف أنفه دون فعل

من الرشيد وجلالته، ولما شهدوا على ذلك أخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودي بوفاته. فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً، ويوم يبعث حياً.

(٢) مقاتل الطالبين ٥٠٤.

الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر - عليهم السلام - الرضا
وهو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت - عليهم السلام - القائم بالإمام بعد أبيه
موسى بن جعفر - عليهما السلام - لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه واخوته في
عصره،
ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافا إلى النصوص الواردة في حقه من أبيه
على إمامته (١).

(١) لاحظ للوقوف على النصوص، الكافي ١ / ٣١١ - ٣١٩ والارشاد ٣٠٤ - ٣٠٥، واثبات
الهداة ٣ / ٢٢٨ روي فيه ٦٨ نصا على إمامته.

ولد في المدينة سنة ١٤٨ هجري، واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر
٢٠٣ هجري، وله
يومئذ ٥٥ سنة، وكانت مدة إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة (٢).

(٢) الارشاد ٣٠٤.

قال الواقدي: علي بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي
بمسجد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة
من التابعين من أهل المدينة (١).

(١) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣١٥.

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أعمق نظره وفكره، وجدته في الحقيقة وارثهما (المراد علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين - عليهما السلام -) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفعت مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوض إليه امر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عالية، وصفاته ثنية، ونفسه الشريفة زكية هاشمية، وأرومته النبوية كريمة (٢).

(٢) الفصول المهمة ٣٤٣ نقلا عن مطالب السؤل.

وقد عاش الإمام الرضا - عليه السلام - في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم، وازداد التشكيك في الأصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسمة أهل الحديث. وفي تلك الأزمنة أتاحت له - عليه السلام - فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من اطلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء (٣).

(٣) لقد جمع الشيخ الطبرسي قسماً من هذه الاحتجاجات في كتابه الاحتجاج ٢ / ١٧٠ - ٢٣٧ طبع النجف.

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلي:
دخل أبو قرة المحدث على أبي الحسن الرضا - عليه السلام - فقال: روينا أن الله
قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم لموسى - عليه السلام - الكلام ولمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم الرؤية.

فقال أبو الحسن - عليه السلام - : فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس:
إنه { لا تدركه الأبصار }، و { لا يحيطون به علما }، و { ليس كمثله شيء }، أليس
محمد صلى

الله عليه وآله وسلم؟ قال: بلى.

قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم
إلى الله بأمر الله، فيقول: { لا تركه الأبصار }، و { لا يحيطون به علما }، و { ليس
كمثله

شيء }، ثم يقول: أنا رأيتُه بعيني وأحطت به علما، وهو على صورة البشر. أما
تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي
بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قرّة: فإنه يقول: {ولقد رآه نزلة أخرى}.
فقال أبو الحسن - عليه السلام - : إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال:
{ ما كذب الفؤاد ما رأى } يقول: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما
رأت

عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} فأيات الله
غير الله، وقال: {لا يحيطون به علما} فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم
ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذب بالرواية؟
فقال أبو الحسن: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه
: إنه لا يحاط به علما، ولا تركه الأبصار، وليس كمثلته شيء (١).

(١) الإحتجاج للطبرسي ٢ / ١٨٤.

ولما انتشر علم الإمام وفضله، أخذت الأفئدة والقلوب تشد إليه، وفي الأمة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكثرت التفاف المسلمين حول الإمام الرضا - عليه السلام - وازدادت أعدادهم، مما دفع بالخلافة العباسية إلى محاولة سحب

البساط من تحت أرجل الإمام - عليه السلام - وأعوانه قبل أن تستفحل الأمور ويصعب

السيطرة على الموقف بعدها، فلجأ المأمون إلى مناورة ذكية ماكرة استطاع من خلالها قلب تيار الأحداث لصالحه، حيث استقدم الإمام الرضا - عليه السلام - وجملة من وجوه

الطالبين إلى مقر الحكومة آنذاك في مرو من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، معززين مكرمين حتى أنزلوهم إلى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقي المأمون بالإمام علي بن موسى - عليه السلام -.

وما كان من المأمون إلا أن بعث إلى الإمام الرضا - عليه السلام - قبل اجتماعه به: إنني أريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأقلدك إياها فما رأيك؟ فأنكر الرضا - عليه السلام - هذا الأمر وقال له: أعينك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد فرد عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد بعدي، فأبى عليه الرضا اباء شديدا.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين - ليس في المجلس غيرهم - وقال له:

إنني رأيت أن أقلدك أمر المسلمين وأفسخ ما في رقبتني وأضعه في رقبتك. فقال له الرضا - عليه السلام -: الله الله يا أمير المؤمنين إنه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه.

قال له: فإنني موليك العهد من بعدي.
فقال له: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.
فقال له المأمون - كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه - : إن
عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين - عليه السلام -
وشرط
فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولا بد من قبولك ما أريد منك فإنني لا أجد محيصا
عنه.

فقال له الرضا - عليه السلام - : فإنني أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على
أنني لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أولي، ولا أعزل، ولا أغير شيئا
مما هو قائم فأجابه المأمون إلى ذلك كله (١).

(١) الارشاد للمفيد ٣١٠.

أقول: ليس بخفاف على ذي لب مغزى اصرار المأمون على تولية الإمام الرضا - عليه السلام - لمنصب ولاية العهد، وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقراء الاحداث التي سبقت أو رافقت هذه المؤامرة المحكمة.

فعندما قدم هارون الرشيد ولده الأمين رغم اقراره ومعرفته بقوة شخصية المأمون وذكائه قياسا بأخيه المدلل الذي لا يشفع له إلا مكانة أمه زبيدة الحاكمة في قصر الرشيد، كان يعني ذلك ايدانا بقيام الفتنة التي حصلت من بعد وراح ضحيتها عشرات الألوف وعلى رأسهم الأمين الذي وقف العباسيون إلى صفه وقاتلوا معه، ولما انتقلت السلطة بأكملها إلى المأمون المستقر في خراسان والمدعوم بأهلها آنذاك، فقد واجه خطر نقمة أكثر العباسيين وعدائهم له وتحينهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه.

وفي الجانب الآخر كان الشيعة في كل مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العداة نتيجة سوء صنيعهم وظلمهم للعلويين ولآل البيت خاصة، والذين يشكل شيعة خراسان جانبا مهما منهم.

وكان في أول سنة لخلافة المأمون أن خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بأبي السرايا في الكوفة مناديا بالدعوة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي - عليه السلام - حيث بايعه عامة الناس على ذلك.

وفي المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وفي البصرة علي بن محمد بن جعفر

بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار، وفي اليمن إبراهيم بن موسى، ومن ثم فقد ظهر في المدينة أيضا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالأفطس.

وهكذا فقد اندلعت في أنحاء الدولة الكثير من الثورات تناصرها الآلاف من الناس الذين ذاقوا الامرين من حكم الطواغيت والظلمة.

وهكذا فقد أدرك المأمون مدى تأزم الموقف وتخلخل وضع الحكومة آنذاك، فلم يجد بدا

من تظاهره امام الرأي العام الشيعي - الذي كان من أقوى التيارات المؤهلة للإطاحة بالخلافة العباسية دون أي شك - بتنازله عن الخلافة - التي قتل أخاه من اجلها - إلى الإمام الرضا - عليه السلام - إمام الشيعة وقائدهم.

وهكذا فبعد قبول علي بن موسى الرضا - عليهما السلام - بولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء، فخفقت الألوية على رأسه، وكان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل

بن

علي الخزاعي، فلما دخل عليه قال: قلت قصيدة وجعلت علي نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك، فأمره بالجلوس حتى خف مجلسه ثم قال له: هاتها فأنشده قصيدته المعروفة:

مدارس آيات نخلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثففات
ديار عفاها كل جون مبادر * ولم تعف للأيام والسنوات

إلى أن قال:

قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفخ نالها صلواتي
وقر بيغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن بالغرفات
فأما المصمات التي لست بالغا * مبالغها مني بكنه صفات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج منها الهم والكربات

إلى أن قال:

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات؟
أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفا من الأوتار منقبضات
حتى أتى على آخرها، فلما فرغ من إنشادها قام الرضا - عليه السلام - فدخل إلى حجرته

وأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت، وإنما جئت للسلام عليك والتبرك بالنظر إلى وجهك الميمون، وإني لفي غنى، فإن

رأيت أن تعطني شيئا من ثيابك للتبرك فهو أحب إلي. فأعطاه الرضا جبة خز ورد عليه الصرة (١).

(١) الفصول المهمة ٢٤٦، الارشاد ٣١٦، الأغاني ١٨ / ٥٨، زهر الآداب ١ / ٨٦، معاهد التنصيص ١ / ٢٠٥، الاتحاف ١٦٥، تاريخ دمشق ٥ / ٢٣٤ وللقصة صلة ومن أراد فليراجع إلى المصادر المذكورة.

كان الإمام في مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته في
بقاع
الأرض، وعظم تعلق المسلمين به، مما أثار مخاوف المأمون وتوجسه من أن ينفلت
زمام
الامر من يديه على عكس ما كان يتمناه، وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، وقوى
ذلك الظن أن المأمون بعث إليه يوم العيد في أن يصلي بالناس ويخطب فيهم فأجابه
الرضا - عليه السلام - : إنك قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول
الامر،
فاعفني في الصلاة بالناس. فقال له المأمون: إنما أريد بذلك ان تطمئن قلوب الناس،
ويعرفوا فضلك.
ولم تزل الرسل تتردد بينهما في ذلك، فلما ألح عليه المأمون، أرسل إليه الرضا:
إن أعفيتني فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه
 وآله
وسلم وأمير المؤمنين - عليه السلام - فقال المأمون: أخرج كيف شئت. وأمر القواد
والحجاب والناس أن ييكرؤا إلى باب الرضا - عليه السلام - .

قال: فقعد الناس لأبي الحسن - عليه السلام - في الطرقات والسطوح، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه، فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمم بعمامة، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ومس شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه: افعلوا مثل ما فعلت فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبر وكبر مواليه معه، فلما رآه الجند والقواد سقطوا كلهم عن الدواب إلى الأرض، ثم كبر وكبر الناس فخيّل إلى الناس أن السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضحيج لما رأوا الإمام الرضا - عليه السلام - وسمعوا تكبيره، فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلنا على دمائنا، فأنفذ إليه أن يرجع. فأرسل إليه من يطلب منه العودة، فرجع الرضا - عليه السلام - واختلف أمر الناس في ذلك اليوم (١).

(١) المفيد: الارشاد ٣١٢.

وقد أشار الشاعر البحتري إلى تلك القصة بأبيات منها:
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا* لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لا بسا* نور الهدى يبدو عليك فيظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع* لله لا يزهي ولا يتكبر (٢)

(٢) أعيان الشيعة ٢ / ٢١ - ٢٢.

إن هذا وأمثاله، وبالأخص خروج أخ المأمون زيد بن موسى بالبصرة على المأمون، لأنه فوض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا الذي كان في تصوره سيؤدي إلى خروج الامر من

بيت العباسيين، كل ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدرس

إليه السم على النحو المذكور في كتب التاريخ.

ومن لطيف ما نقل عن أبي نواس أنه كان ينشد الشعر في كل جليل وطفيف ولم يمدح الإمام، ولما عوتب على ذلك من قبل بعض أصحابه حيث قال له: ما رأيت أوقح منك، ما

تركت خمرا ولا طردا ولا معنى إلا قلت فيه شيئا، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك

لم تقل فيه شيئا، فقال أبو نواس: والله ما تركت ذلك إلا اعظاما له، وليس قدر

مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

قيل لي أنت أحسن الناس طرا * في فنون من الكلام النبیه

لك من جيد القريض مديح * يثمر الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لأبيه

وقال فيه - عليه السلام - أيضا:

مطهرون نقيات جيوبهم * تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له في قديم الدهر مفتخر

الله لما برا خلقا فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملاء الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاءت به السور (١)

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠.

ولما استشهد الإمام - عليه السلام - دفن في مدينة طوس في قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرك به. فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.

الإمام التاسع: محمد بن علي بن موسى - عليهم السلام - الجواد
هو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت - عليهم السلام -، ولد بالمدينة المنورة في
شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة، فورث الشرف من آباءه وأجداده،
واستسقت

عروقه من منبع النبوة، وارتوت شجرته من منهل الرسالة.
قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا - عليه السلام - عام ٢٠٣ هجري، واستشهد
ببغداد عام ٢٢٠ هجري، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.
أما إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة (١).

(١) أنظر الكافي ١ / ٣٢٠ - ٣٢٣، اثبات الهداة ٣ / ٣٢١ - ٣٢٨.

يلقب بالجواد والقانع والمرضى والنجيب والتقوي والزكي وغيرها من الألقاب الدالة على علو شأنه وارتفاع منزلته.

أقول: لما توفي الرضا - عليه السلام - كان الإمام الجواد في المدينة وقام بأمر الإمامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس

السياسة التي مارسها مع أبيه - عليه السلام - خلافا لأسلافه من العباسيين، حيث إنهم كانوا يتعاملون مع أئمة أهل البيت بالقتل والسجن، وكان ذلك يزيد في قلوب الناس حبا لأهل البيت وبغضا للخلفاء، ولما شعر المأمون بذلك بدل ذلك الأسلوب بأسلوب آخر وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكي يشرف على حركاتهم

وسكناتهم، وقد استمرت هذه السياسة في حقهم إلى الإمام الحادي عشر كما ستعرف.

وما كان من المأمون عندما استقدم الإمام إلى مركز الخلافة، إلا أن شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه

أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصا على إكرامه وتعظيمه واجلال قدره، ونحن نكتفي في المقام بذكر أمرين: ١ - لما توفي الإمام الرضا - عليه السلام - وقدم المأمون بغداد اتفق أن المأمون يخرج يوما يتصيد، فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم، فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد الجواد، وعمره آنذاك تسع سنين، فلما اقترب منه الخليفة قال له: يا غلام ما منعك أن لا تفر كما فر أصحابك؟! فقال له محمد الجواد مسرعا: يا أمير المؤمنين فر أصحابي فرقا والظن بك حسن أنه لا يفر منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأنثحي فأعجب المأمون كلامه وحسن

صورته فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد بن علي الرضا - عليه السلام - فترحم على أبيه (١).

(١) الفصول المهمة ٢٦٦.

٢ - لما أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل من الإمام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: نشهدك الله أن تقيم على هذا الامر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف أن تخرج به عنا أمرا قد ملكناه الله! وتنزع منا عزا قد ألبسناه الله! فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديما وحديثا، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبيعدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا

حتى كفى الله المهم من ذلك - إلى أن قالوا - : إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له فأمهله حتى يتأدب ويتفقه في الدين ثم اصنع ما ترى.

قال المأمون: ويحكم إني اعرف بهذا الفتى منكم، وإن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وإلهامه، ولم يزل أبأوه أغنياء في علم الدين والأدب من الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتى يتبين لكم ما وصفت لكم من حاله. قالوا: رضينا.

فخرجوا واتفق رأيهم على أن يحيى بن أكثم يسأله مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون على ذلك.

واجتمع القوم في يوم اتفقوا عليه، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ففعل ذلك، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل

بدست أبي جعفر - عليه السلام -.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال: سل إن شئت.

فقال: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيدا؟

فقال أبو جعفر - عليه السلام -: في حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أو جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أو عبدا؟ صغيرا كان أو كبيرا؟ مبتدئا كان بالقتل أو معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرا كان على ما فعل أو نادما؟ ليلا كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟.

فتحير يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم قال لأبي جعفر - عليه السلام -: اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي (١).

(١) الارشاد ٣١٩ - ٣٢١، وإعلام الوري ٣٥٢ وللقصّة صلة فراجع.

ولما تم الزواج قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت - جعلت فداك - أن تذكر الجواب فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لتعلمه ونستفيده.
فقال أبو جعفر - عليه السلام - : إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا، فإن قتل فرخا في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبيا فعليه شاة، فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمدة له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.
فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر... (١).

(١) الارشاد ٣٢٢.

رجوع الجواد إلى المدينة:
ثم إن أبا جعفر بعد أن أقام مدة في بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدة إلى أن
توفي المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكرا في أبي جعفر يخاف من
اجتماع
الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التي مارسها أخوه
المأمون من قبله فاستقدم الإمام الجواد - عليه السلام - إلى بغداد سنة ٢٢٠ (١) وبقي
فيها - عليه السلام - حتى توفي في آخر ذي القعدة من تلك السنة، وله من العمر ٢٥
سنة وأشهر. ودفن عند جده موسى بن جعفر في مقابر قريش.

(١) وفي الارشاد ٣٢٦، وفي إعلام الوري ٣٠٤: وكان سبب ورود الإمام إلى بغداد إشخاص
المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من محرم الحرام سنة ٢٢٥ هجري...
ثم يقول: وكان له يوم قبض ٢٥ سنة.

ولا يخفى أنه لو كان تاريخ وروده إلى بغداد هي سنة ٢٢٥ هجري، يكون له يوم وفاته
٣٠

سنة من العمر لأنه ولد عام ١٩٥ هجري.
وقال ابن شهر آشوب: إنه قبض مسموماً (٢).

(٢) ابن شهر آشوب: المناقب ٤ / ٣٧٩.
فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد، ويوم مات أو استشهد بالسّم، ويوم بيعت حيا.

الإمام العاشر: أبو الحسن علي بن محمد بن علي - عليهم السلام - الهادي
الإمام علي بن محمد الهادي، هو الإمام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام ٢١٢ هجري،
وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ هجري، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصاية
والخلافة،

وثمره من شجرة النبوة.

قام - عليه السلام - بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد - عليه السلام -، وقد
عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء
قضايا لا يتسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب،
وأكملهم من

بعيد، إذا صمت علتة هيبة الوقار، وإذا تكلم سماه البهاء (١).

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠١ طبع قم.

وقال عماد الدين الحنبلي: كان فقيها إماما متعبدا (٢).

(٢) شذرات الذهب ٢ / ١٢٨ في حوادث سنة ٢٥٤.

وقال المفيد: تقلد الإمامة بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة (٣).

(٣) الارشاد ٣٢٧.

وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طريقنا، فمن أراد فليرجع إلى الكافي واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدة لذلك (٤).

(٤) الكليني، الكافي ١ / ٣٢٣ - ٣٢٥، الشيخ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣٠ / ٣٥٥ - ٣٥٨.

وقد مارس المتوكل نفس الأسلوب الخبيث الذي رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من
إشخاص
أئمة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الإقامة في مقر الخلافة، وجعل العيون
والحراس عليهم حتى يطلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.
وكان المتوكل من أخبث الخلفاء العباسيين، وأشدهم عداً لعلي، فبلغه مقام علي
الهادي بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منها (٥)، فدعا يحيى بن
هرثمة
وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا.

(٥) روي أن بريحة العباسي أحد أنصار المتوكل وأزلامه كتب إليه: إن كان لك بالحرمين
حاجة فأخرج منها علي بن محمد فإنه قد دعا الناس إلى نفسه وتبعه خلق كثير.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله، خوفا على علي الهادي، وقامات الدنيا على ساق، لأنه كان محسنا إليهم، ملازما للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحيى: فجعلت أسكنهم وأحلف لهم اني لم أوامر فيه بمكروه، وإنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتوليت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته، فلما قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري

وكان واليا على بغداد، فقال لي: يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكل من تعلم، فإن حرضته عليه قتله، كان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل.

ثم صرت به إلى سر من رأى فبدأت ب وصيف التركي، فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهاده، وأني فتشت داره ولم أجد فيها إلا المصاحف وكتب العلم، وأن أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل بره، وأنزله معه سامراء (١).

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٣٢٢.

ومع أن الإمام كان يعيش في نفس البلد الذي يسكن فيه المتوكل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، إلا أنه وشي به إلى المتوكل بأن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعة من أهل قم، وأنه عازم بالوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من

القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب فأدخل عليه والكأس في يده، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال الإمام - عليه السلام - : والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني فأعفاه، فقال له: أنشدني شعراً، فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر فقال: لا بد، فأنشده وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الأجدال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم * وأسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم * أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل (١)
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

(١) ربما يروى ينتقل.

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون، ورفع إلى علي أربعة
آلاف

دينار ثم رده إلى منزله مكرما (١).

(١) المسعودي: مروج الذهب ٤ / ١١.

آثاره العلمية:

روى الحفاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشريعة،

وقد جمعها المحدثون في كتبهم، وبثها الحر العاملي في كتابه الموسوم ب وسائل الشيعة على أبواب مختلفة، ومما نلفت إليه النظر أن للإمام - عليه السلام - بعض الرسائل، وهي:

١ - رسالته في الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، أوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحراني في كتابه الموسوم ب تحف العقول (٢).

(٢) تحف العقول ٢٣٨ - ٣٥٢.

٢ - أجوبته ليحيى بن أكنم عن مسأله، وهذه أيضا أوردها الحراني أيضا في تحف العقول.

٣ - قطعة من احكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب.

(١٧٥)

ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الإمام نأتي بنموذج من هذا التفسير:
قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم،
فقال يحيى بن أكثم: الايمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب
المتوكل إلى الإمام الهادي يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب: يضرب حتى يموت فأنكر
الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلة، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم { فلما
رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين*
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت
في عباده وخسر هنالك الكافرون } (١)، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات (٢).

(١) غافر / ٨٤ - ٨٥.

(٢) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠٣ - ٤٠٥.

وفاته:
توفي أبو الحسن - عليه السلام - في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره
بسر
من رأى، وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين،
ومحمدا، وجعفر، وابنته عائشة، وكان مقامه بسر من رأى إلى أن قبض عشر سنين
وأشهر،
وتوفي وسنه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة (٣).
وقد ذكر المسعودي في إثبات الوصية تفصيل كيفية وفاته وتشيعه وإيصال الإمامة
لابنه أبي محمد العسكري فمن أراد فليراجع (٤).

(٣) الإرشاد ٣٢٧.

(٤) إثبات الوصية.

الإمام الحادي عشر: أبو محمد الحسن بن علي بن محمد - عليهم السلام - العسكري
أبو محمد، الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد، أحد أئمة أهل البيت، والإمام
الحادي عشر، الملقب بالعسكري، ولد عام ٢٣٢ هجري (١)، وقال الخطيب في
تاريخه (٢) وابن
الجوزي في تذكروته (٣):

-
- (١) الكليني: الكافي ١ / ٥٠٣.
(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٦.
(٣) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٢٢.

أنه ولد عام ٢٣١ هجري، وأشخص بشخص والده إلى العراق سنة ٢٣٦ هجري، وله من العمر أربع سنين وعدة شهور، وقام بأمر الإمامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة (١)، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدثين يربو عددهم على ١٥٠ شخصا (٢). وتوفي عام ٢٦٠ هجري، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء.

(١) المفيد: الارشاد ٣٣٥.

(٢) العطاردي: مسند الإمام العسكري وقد جمع فيه كل ما روي عنه وأسند إليه. وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب السلطة، واجتهادها في البحث عن أمره، ولكنه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتداء عليهما. وقد اشتهر الإمام بالعسكري لأنه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سر من رأى التي بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليا إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها (٣).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ / ٩٤.

وقال سبط ابن الجوزي: كان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جده ومن جملة مسانيد

حديث في الخمر عزيز.

ثم ذكر الحديث عن جده أبي الفرج الجوزي في كتابه المسمى بـ "تحريم الخمر"، ثم ساق سند الحديث إلى الحسن العسكري وهو يسند الحديث إلى آبائه إلى علي بن أبي طالب

وهو يقول: أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله

لقد سمعت إسرائيل يقول: أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد الوثن (١).

(١) تذكرة الخواص ٣٢٤.

ولقد وقع سبط ابن الجوزي في الاشتباه عندما توهم أن اسناد الإمام - عليه السلام - هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة

غير ذلك، فإن أحاديث أئمة أهل البيت مروية كلها عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهم لا يروون في مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلا ما وصل إليهم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا تعبر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصور كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممن يعتمدون على آرائهم الشخصية، وهو في قياسه خاطئ،

فهم منذ نعومة أظفارهم إلى ن لبوا دعوة ربهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه من علوم

ورثوها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثه غيبية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه والراسخون في العلم.

وهذا الإمام جعفر الصادق - عليه السلام - يبين هذا الأمر بوضوح لا لبس فيه، حيث يقول: إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين،

وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله

قول الله عز وجل (٢).

(٢) الارشاد ٢٧٤.

وروى حفص بن البختري، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق - عليه السلام -: أسمع
الحديث
منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال: ما سمعته مني فاروه عن أبي، وما
سمعته
مني فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

(١) وسائل الشيعة ج ١٨، الباب الثامن من أبواب صفات القاضي، الحديث ٨٦.

فأئمة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أناسا نقلهم وحديثهم* روى جدنا عن جبرئيل عن الباري
ولقد عاتب الإمام الباقر - عليه السلام - سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا
يأخذان الحديث من الناس ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: شرقا وغربا
فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت.

ورغم أن الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الإقامة الجبرية وجعلوا عليه
عيونا وجواسيس، ولكن روى عنه الحفاظ والرواة أحاديث جملة في شتى المجالات،
بل

يروى أن الإمام - عليه السلام - ورغم كل ذلك كان على اتصال مستمر بالشيعة الذين
كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وحيث كان لا مرجع لهم سوى الإمام - عليه
السلام -.

كما أن الكلام عن أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته وعظمته،
ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزة، وما نقل عنه من الحكم والمواعظ
والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا في ذلك علماؤنا الأبرار، بيد أنا نشير هنا
إلى لمحة من علومه.

١ - لقد شغلت الحروف المقطعة بال المفسرين فضربوا يمينا وشمالا، وقد أنهى
الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولا، ولكن الإمام -
عليه السلام - عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: كذبت قريش
واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبین تقوله.

فقال الله: { ألم ذلك الكتاب } أي: يا محمد، هذا الكتاب الذي نزلناه عليك هو
الحروف المقطعة التي منها ألف، لام، ميم وهو بلغتكم وحروف هجاءكم، فأتوا
بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهادتكم، ثم بين أنه لا يقدر
عليه بقوله: { قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا } (١) (٢).

(١) الإسراء / ٨٨.

(٢) الصدوق: معاني الأخبار ٢٤، وللحديث ذيل فمن أراد فليرجع إلى الكتاب.
وقد روي هذا المعنى عن أبيه الإمام الهادي - عليه السلام - (٣).

(٣) الكليني: الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل، الحديث ٢٠ / ٢٤ - ٢٥.

٢ - كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنكم تقولون

في صلواتكم: {اهدنا الصراط المستقيم} أو لستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنكم متنكبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسر الإمام الآية قاطعا لشغبهم فقال: آدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا.

ثم فسر الصراط بقوله: الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أما الأول فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شئ من الباطل، وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة (١).

(١) الصدوق: معاني الأخبار ٣٣.

وكان قد استفحل أمر الغلاة في عصر الإمام العسكري ونسبوا إلى الأئمة الهداة أموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركز الإمام على أن الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنب عن الغلو والتقصير.

٣ - ربما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: {صراط الذين أنعمت عليهم} ويتصور أن المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من الله، ولكن المراد من الآية بقريظة قوله: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} هو نعمة التوفيق والهداية.

ولأجل ذلك نرى أن الإمام يفسر هذا الإنعام بقوله: قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا} ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة (٢).

(٢) المصدر نفسه: ٣٦.

٤ - لقد تفشت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تخلق، تأثرا بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمد بن صالح عن قول الله: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب} (١) فقال: هل يمحو إلا ما كان وهل يثبت إلا ما لم يكن؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطي: إنه لا يعلم الشيء حتى يكون، فنظر إلي شزرا، وقال:

(١) الرعد / ٣٩.

تعالى الله الجبار العالم بالشئ قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والرب إذ لا
مربوب، والقادر قبل المقدور عليه (٢).

(٢) المسعودي: اثبات الوصية ٢٤١.

حصيلة البحث:
هؤلاء هم أئمة الشيعة وقادتهم بل أئمة المسلمين جميعا، وكيف لا يكونون كذلك؟
وقد
ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحث الأمة على التمسك بهما وقال: إني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي
أبدا (٣).

(٣) رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ
نشرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، حول هذا الحديث، ترى اسنادها موصولة إلى
النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن المؤسف أن أهل السنة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أئمة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنما استعانوا في تفسيره بأناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفى عام ١٠٤ هجري)، وعكرمة البربري (المتوفى عام ١٠٤ هجري)، وطاووس بن كيسان

اليمني (المتوفى عام ١٠٦ هجري)، وعطاء بن أبي رباح (المتوفى عام ١١٤ هجري)، ومحمد بن كعب القرظي (المتوفى عام ١١٨ هجري)، إلى غير ذلك من أناس لا يبلغون في

الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمة أهل البيت - صلوات الله عليهم -... فالاسلام عقيدة وشريعة، والنجاة عن الضلال - حسب مفاد حديث الثقلين هو الرجوع إليهما وأما غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلا فلا قيمة له - أما الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلا إذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنة نبيه، وليس حديث أئمة أهل البيت إلا إشراقاً خالداً لحديث جدهم الأكرم وسنته. الإمام الثاني عشر: الإمام المهدي ابن الحسن بن علي - عليهم السلام - المنتظر هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري الحجة، الخلف الصالح، ولد - عليه السلام -

بسر من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة

أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبياً كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه: {يا يحيى

خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً} (١)، وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبياً وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً} (٢).

(١) مريم / ١٢.

(٢) مريم / ٣٠.

اتفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور،
ونشر

أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كله ولو كره المشركون، فهو بإذن الله
ينجي العالم من ذل العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبتلع
القوانين الكافرة التي سنتها الأهواء، ويقطع أواصر التعصبات القومية والعنصرية،
ويمحو أسباب العداة والبغضاء التي صارت سببا لاختلاف الأمة وافتراق الكلمة،
ويحقق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ - { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا
يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } (١).

(١) النور / ٥٥.

٢ - {ونريد ن نم ن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين} (٢).

(٢) القصص / ٥.

٣ - { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها
عبادي الصالحون } (٣).

(٣) الأنبياء / ١٠٥.

وتشهد الأمة بعد ظهوره - عليه السلام - عصرا ذهبيا لا يبقى فيه على الأرض بيت إلا ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة لا إله إلا الله بكرة وعشيا.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنة والشيعة المؤكدة على إمامة أهل البيت - عليهم السلام -، والمشيرة صراحة إلى أن عددهم كعدد

نقباء بني إسرائيل، وأن آخر هؤلاء الأئمة هو الذي يملأ الأرض - في عهده - عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا، وأن أحاديث الإمام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنة في صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذي (المتوفى عام ٢٩٧ هجري)، وأبي داود (المتوفى عام ٢٧٥ هجري)، وابن ماجة (المتوفى

عام ٢٧٥ هجري) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم وصحابته، أمثال علي بن أبي طالب - عليه السلام -، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأم سلمة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وغيرهم:

١ - روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من

الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا (١).

(١) مسند أحمد ١ / ٩٩، ٣ / ١٧ - ٧٠.

٢ - أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي (٢).

(٢) جامع الأصول ١١ / ٤٨ برقم ٧٨١٠.

٣ - أخرج أبو داود عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله صلى
الله

عليه وآله وسلم يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة (١).

(١) جامع الأصول ١١ / ٤٨ برقم ٧٨١٢.

٤ - أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي (٢).

(٢) المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقي: إن المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريبا، اجتمع على تناولها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح (٣).

(٣) الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣.

هذا هو المهدي الذي اتفق المحدثون والمتكلمون عليه، وإنما الاختلاف بين الشيعة
والسنة في ولادته، فالشيعة ذهبوا إلى أن المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي
ولد بسامراء عام ٢٥٥ هجري واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هجري، وقد تضافرت
عليه
النصوص من آباءه، على وجه ما ترك شكاً ولا شبهة (٤) ووافقهم جماعة من علماء
أهل
السنة، وقالوا بأنه ولد وأنه محمد بن الحسن العسكري.

(٤) اقرأ هذه النصوص في كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق ٣٠٦ - ٣٨١ هجري ترى فيه
النصوص المتضافرة على أن المهدي الموعود هو ولد الإمام أبي محمد الحسن العسكري
وأن له غيبة.

نعم كثير منهم قالوا: بأنه سيولد في آخر الزمان، وبما أن أهل البيت أدرى بما في البيت، فمن رجع إلى روايات أئمة أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأن المولود للإمام العسكري هو المهدي الموعود.

وممن وافق من علماء أهل السنة بأن وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:
١ - كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي الشافعي في كتابه مطالب السؤل

في مناقب آل الرسول. وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في مرآة الجنان في حوادث سنة ٦٥٠ هجري.

قال - بعد سرد اسمه ونسبه -: المهدي الحجة، الخلف الصالح المنتظر، فأما مولده فبسر من رأى، وأما نسبه أبا فأبوه الحسن الخالص ثم أورد عدة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي ومسلم، والبخاري وغيرهم، ثم ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله - عليه السلام - من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك،

وأجاب عنها جميعا، ثم قال رادا على تأويل البعض لهذه الروايات بأنها لا تدل على أنه محمد بن الحسن العسكري قائلًا: بأن الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمد بن الحسن العسكري علمنا إنه هو المهدي.

٢ - أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه: البيان في أخبار صاحب الزمان وكفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.

٣ - نور الدين علي بن محمد الصباغ المالكي في كتابه: الفصول المهمة في معرفة الأئمة.

٤ - الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص. إلى غير ذلك من علماء وحفاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين في أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثم قال: والقائلون بوجود المهدي من علماء أهل السنة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا البرهان على وجود صاحب الزمان ورسالة كشف الأستار للشيخ حسين النوري (١).

(١) أعيان الشيعة ٢ / ٦٤ - ٧٥.

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الأئمة الهداة أمرا مسلما، حتى أن دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي أنشدها لعلي بن موسى الرضا - عليه السلام - فقال: خروج إمام لا محالة قائم* يقوم على اسم الله والبركات يميز فينا كل حق وباطل* ويجزي على النعماء والنقمات ولما وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا - عليه السلام - بكاء شديدا ثم رفع رأسه، فقال له: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا

الإمام ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد، ويملاؤها عدلا كما ملئت جورا.

فقال: يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني (الجواد) وبعد محمد ابنه علي (الهادي)، وبعد علي ابنه الحسن (العسكري)، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا كما ملئت جورا، وأما متى؟ فأخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي - عليه السلام - : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة (١).

(١) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢ / ٣٧٢.

ثم إن للمهدي - عجل الله تعالى فرجه - غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار

عن أئمة أهل البيت، أما الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير علي بن محمد السمرى عام ٣٢٩ هجري، ففي هذه الفترة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم ويصلون

إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقعات منه إلى شيعته في أمور شتى. وأما الغيبة الكبرى فهي بعد الأولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى. وأما من رأى الحجة في زمان أبيه وفي الغيبة الصغرى وحتى في الكبرى، فحدث عنه ولا

خرج، وقد ألفت في ذلك كتب أحسنها وأجملها: كمال الدين للصدوق، والغيبة للشيخ الطوسي.

فندكر هنا بعض من رآه في صباه:

في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري:
إن هناك لفيفا من أصحاب الإمام العسكري رأوا الإمام المهدي في أيام صباه، ووالده
بعد حي. وها نحن نذكر من الكثير شيئاً قليلاً حتى لا يرتاب المنصف في ولادته:
١ - روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي - عليهما
السلام -

وهو جالس على دكان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من
صاحب هذا
الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشرة أو ثمان أو نحو
ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، دري المقلتين، شن الكفين، معطوف الركبتين، في
خده
الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمد ثم قال لي: هذا صاحبكم
(١).

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٠٧ الباب ٣٨ الحديث ٢.

٢ - روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال: لما هم الوالي عمر بن عوف بقتلي غلب علي خوف عظيم، فودعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمد لأودعه، وكنت أردت الهرب، فلما دخلت عليه رأيت غلاما جالسا في جنبه وكان وجهه مضيئا كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسيني ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإن الله سيكفيك شره، فازداد تحيري، فقلت لأبي محمد: يا سيدي يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي (٢).

(٢) الحر العاملي: اثبات الهداة ٣: ٧٠٠، الباب ٣٣، الحديث ١٣٦.

٣ - روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لأبي محمد الحسن العسكري: يا ابن رسول
الله فمن
الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض - عليه السلام - مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى
عاتقه
غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق،
لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي
رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت
جورا وظلما (١).

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٣٨٤ الباب ٣٨ الحديث ١.

٤ - روى أبو الحسين الحسن بن وحناء قال: حدثني أبي عن جده أنه كان في دار الحسن بن علي - عليهما السلام - فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذاب واشتغلوا بالتهب والغارة وكانت همتي في مولاي القائم - عليه السلام -، قال: فإذا أنا به - عليه السلام - قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو - عليه السلام - ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب (٢).

(٢) المصدر نفسه: ٢: ٤٧٣ الباب ٤٣ الحديث ٢٥.

٥ - روى عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمري (أحد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد - عليه السلام -؟ فقال: أي والله، ورقبته مثل ذا - أو ما بيده - فقلت له: فبقيت واحدة؟ فقال لي: هات قلت: الاسم؟ قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك... (٣).

(٣) الكليني ١: ٣٢٩ الحديث ١.

٦ - روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي -

عليهما السلام - فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه. ثم إن حكيمة عمّة الإمام العسكري تتحدث عن ولادة الإمام المهدي وتقول: فضمته إلي فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد - عليه السلام - : هلم إلي ابني يا عمّة، فجئت إليه... (١).

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٢٤ الباب ٤٢ الحديث ١.

٧ - روى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدي أبي محمد - عليه السلام - إذ نظرت

إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة إخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا لله وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشف طرفه، فإذا

أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي. فقال: جئت إلى ولي الله

وحجته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك، وعرف مقاتلك... إلى أن قال: فنظر إلي أبو محمد وتبسم وقال: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدي والحجة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسألني عنه. قال: فهضت وقد أخذت

الجواب الذي أسررته في نفسي من الإمام المهدي ولم ألقه بعد ذلك (٢).

(٢) الشيخ الطوسي: الغيبة: ١٤٨، كشف الغمة ٣: ٢٨٩ عن الخرائج، وغيرهما من المصادر. هذه نماذج في من رأى الإمام المهدي بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناها ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام في المقال.

أسئلة مهمة حول المهدي - عجل الله تعالى فرجه - :
إن القول بأن الإمام المهدي لا يزال حيا يرزق منذ ولادته عام ٢٥٥ هجرية إلى
الآن، وأنه غائب سوف يظهر بأمر من الله سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته،
نذكر رؤوسها:

١ - كيف يكون إماما وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه في غيبته؟

٢ - لماذا غاب؟

٣ - كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

٤ - ما هي أشراط وعلائم ظهوره؟

هذه أسئلة أثارت حول الإمام المهدي منذ أن غاب، وكما طالت غيبته اشتد التركيز
عليها، وقد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها في مؤلفات مستقلة لا
مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أن الإحالة لما كانت عن المحذور غير خالية،
نبحث

عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسط إلى المصادر المؤلفة في هذا المجال.

السؤال الأول: كيف يكون إماما وهو غائب؟ وما فائدته؟
إن القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو
اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهرا بين أبناء الأمة، مشاهدا لهم، فكيف يكون
إماما قائدا، وهو غائب عنهم؟!
والجواب: على وجهين نقضا وحلا.
أما النقض: فإن التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرف على أولياء الله،
وأنهم بين ظاهر قائم بالأمر ومختف قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إن كتاب الله العزيز يعرفنا على وجود نوعين من الأئمة والأولياء والقادة للأمة،
ولي غائب مستور، لا يعرفه حتى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى -
عليه

السلام - بقوله: {فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما* قال له موسى هل أتبعك على أن
تعلمن مما علمت رشدا} الآيات (١).

(١) الكهف / ٦٥ - ٨٢.

وولي ظاهر باسط اليد، تعرفه الأمة وتقتدي به.
فالقُرآن اذن يدل على أن الولي ربما يكون غائباً، ولكنه مع ذلك لا يعيش في غفلة
عن أمته، بل يتصرف في مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه أبناء الأمة.
فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصح لنا أن نقول بأن الولي إما ولي حاضر مشاهد، أو
غائب

محجوب.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب في كلامه لكميل بن زياد النخعي، يقول
كميل:

أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -، فأخرجني إلى الجبان،
فلما أصبح، تنفس الصعداء، وكان مما قاله اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم
لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله
وبيئاته (١).

(١) نهج البلاغة بتعليقات عبده، ج ٤، ص ٣٧ قصار الحكم، الرقم ١٤٧.

ولست غيبة الإمام المهدي، بدعا في تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب
عن
قومه قرابة أربعين يوما، وكان نبيا وليا، يقول سبحانه: {وواعدنا موسى ثلاثين
ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة*} وقال موسى
لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين { (٢).

(٢) الأعراف / ١٤٢ .

وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول
سبحانه:

{وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في
الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين* فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين} (٣).

(٣) الأنبياء / ٨٧ - ٨٨.

أولم يكن موسى ويونس نبيين من أنبياء الله سبحانه؟ وما فائدة نبي يغيب عن
الأبصار، ويعيش بعيدا عن قومه؟
فالجواب في هذا المقام، هو الجواب في الإمام المهدي - عليه السلام -، وسيوافيك
ما

يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب في زمان غيبته في جواب السؤال التالي.
وأما الحل: فمن وجوه:

الأول: إن عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدل على عدم كونه مفيدا في
زمن غيبته، فالسائل جعل عدم العلم، طريقا إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا السؤال
من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم
بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شك أن عقول البشر لا
تصل إلى كثير من الأمور المهمة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير
من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزها عن العبث، بعيدا عن اللغو.
وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما عرفت
من

تواتر الروايات على غيبته.

الثاني: إن الغيبة لا تلازم عدم التصرف في الأمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غضب الملك، ولم يعلم أصحاب السفينة بتصرفه،

وإلا لصدوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله. كما أنه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأبي مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب في كل يوم وليلة تصرف من هذا النمط من التصرفات. ويؤيد ذلك ما دلت عليه الروايات من أنه يحضر الموسم في أشهر

الحج، ويحج ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلت على أنه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربما يتكفل - بنفسه الشريفة - قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المسلم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غيبته، وأما عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلم، بل الذي دلت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأمة الذين يستدر بهم الغمام، لهم التشرف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأمة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولى التصرف في الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الأمور كما فعل الإمام المهدي - أرواحنا له الفداء - في غيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء وإجراء سياسات، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس،

فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات،
وبكل ما يتوقف عليه نظم أمور الناس (١).

(١) المراد من الغيبة الصغرى، غيبته - صلوات الله عليه - منذ وفاة والده عام ٢٦٠ هجري إلى عام ٣٢٩ هجري، وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان، والشيخ أبي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد السمري.

والمراد من الغيبة الكبرى: غيبته من تلك السنة إلى زماننا هذا، انقطعت فيها النيابة الخاصة عن طريق أشخاص معينين، وحل محلها النيابة العامة بواسطة الفقهاء والعلماء العدول، كما جاء في توقيعه الشريف: وأما الحوادث العامة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم (كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٤).

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدي - عليه السلام - في آخر توقيع له إلى بعض نوابه، بقول: وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب (١).

(١) الصدوق: كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٥ الحديث ٤. وقد ذكر العلامة المجلسي في وجه تشبيهه بالشمس إذا سترها السحاب، وجوها، راجعها في بحار الأنوار ج ٥٢ الباب ٢٠ ص ٩٣ - ٩٤.

السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي - عليه السلام -؟
إن ظهور الإمام بين الناس، يترتب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمن الغيبة، فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الاستفادة من وجوده، وما هي المصلحة التي أخفته عن أعين الناس؟
الجواب:

إن هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل:
أما النقص: فبما ذكرناه في الإجابة عن السؤال الأول، فإن قصور عقولنا عن إدراك أسباب غيبته، لا يجرنا إلى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولى من رد الروايات المتواترة، بل هو المتعين.

وأما الحل: فإن أسباب غيبتة، واضحة لمن أمعن فيما ورد حولها من الروايات، فإن الإمام المهدي - عليه السلام - هو آخر الأئمة الاثني عشر الذين وعد بهم الرسول، وأناط عزة الإسلام بهم، ومن المعلوم أن الحكومات الإسلامية لم تقدرهم، بل كانت لهم بالمرصاد، تلقيهم في السجون، وتريق دماءهم الطاهرة، بالسيف أو السم، فلو

كان ظاهرا، لأقدموا على قتله، إطفاء لنوره، فلأجل ذلك اقتضت المصلحة ان يكون مستورا عن أعين الناس، يراهم ويرونه ولكن لا يعرفونه، إلى أن تقتضي مشيئة الله سبحانه ظهوره، بعد حصول استعداد خاص في العالم لقبوله، والانضواء تحت لواء طاعته،

حتى يحقق الله تعالى به ما وعد به الأمم جمعاء من توريث الأرض للمستضعفين. وقد ورد في بعض الروايات إشارة إلى هذه النكتة، روى زرارة قال: سمعت أبا جعفر (الباقر - عليه السلام -) يقول: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولم؟ قال: يخاف. قال زرارة: يعني القتل. وفي رواية أخرى: يخاف على نفسه الذبح (١).

(١) لاحظ كمال الدين، الباب ٤٤ ص ٢٨١ الحديث ٨ و ٩ و ١٠.

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره.

السؤال الثالث: الإمام المهدي وطول عمره:

إن من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غيبته، فإنه ولد عام ٢٥٥ هجري، فيكون عمره إلى الأعصار الحاضرة أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل

يمكن في منطق العلم أن يعيش إنسانا هذا العمر الطويل؟
والجواب:

من وجهين، نقضا وحلا.

أما النقض: فقد دل الذكر الحكيم على أن شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: {فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً} (١).

(١) العنكبوت / ١٤.

وقد تضمنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمرين، وذكرت أحوالهم في سفر التكوين (٢).

(٢) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة ٥، وذكر هناك أعمار آدم، وشيث ونوح، وغيرهم.

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمرين، ككتاب المعمرين لأبي حاتم
السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدة منهم في كتاب كمال الدين (٣)،

(٣) كمال الدين، ص ٥٥٥.

والعلامة الكراجكي في رسالته الخاصة، باسم {البرهان على صحة طول عمر الإمام
صاحب
الزمان (١)، والعلامة المجلسي في البحار (٢)، وغيرهم.

(١) الكراجكي: البرهان على طول عمر صاحب الزمان، ملحق ب كنز الفوائد، له أيضا،
الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمرين ص ١١٤ - ١٥٥، ط دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥ هجري.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١، الباب ١٤، ص ٢٢٥ - ٢٩٣.
وأما الحل: فأن السؤال عن إمكان طول العمر، يعرب عن عدم التعرف على سعة قدرة
الله سبحانه: {وما قدروا الله حق قدره} (٣)، فإنه إذا كانت حياته وغيبته
وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأبي مشكلة في أن يمد الله سبحانه في عمره ما
شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء.

(٣) الأنعام / ٩١.

وبعبارة أخرى: إن الحياة الطويلة إما ممكنة في حد ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به أحد، فتعين الأول، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمد عمر وليه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعيًا لقواعد حفظ الصحة، وأن موت الإنسان في فترة متدنية، ليس لقصور الاقتضاء، بل لعوارض

تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

وهناك كلمات ضافية من مهرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة (١).

(١) لاحظ مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

وبالجملة، اتفقت كلمة الأطباء على أن رعاية أصول حفظ الصحة، توجب طول العمر، فكلما كثرت العناية برعاية تلك الأصول، طال العمر، ولأجل ذلك نرى أن الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، أقل من السابق، والمعمرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلا لرعاية أصول الصحة، ومن هنا أسست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقررات خاصة وحدود معينة، جارية على قوانين حفظ الصحة، فلو فرض

في حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كل وجه، طال عمره إلى ما شاء الله. وإذا قرأت ما تدونه أقلام الأطباء في هذا المجال، يتضح لك معنى قوله سبحانه: {فلو لا أنه كان من المسبحين* للبت في بطنه إلى يوم يبعثون} (٢).

(٢) الصفات / ١٤٣ و ١٤٤.

فإذا كان عيش الإنسان في بطون الحيتان، في أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم
البعث،
فكيف لا يعيش إنسان، على اليابسة، في أجواء طبيعية، تحت رعاية الله وعنايته، إلى ما
شاء الله؟

السؤال الرابع: علائم ظهوره - عليه السلام - ما هي؟
إذا كان للإمام الغائب، ظهور بعد غيبة طويلة، فلا بد من أن يكون لظهوره علائم
وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هي هذه العلائم؟
الجواب:

إن ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين:
قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة.
وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر.
وربما وقع الخلط بينهما في الكتب، ونحن نذكر القسم الثاني منهما، وهو عبارة عن
أمور عدة منها:

- ١ - النداء في السماء.
 - ٢ - الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.
 - ٣ - الشقاق والنفاق في المجتمع.
 - ٤ - ذبوع الجور والظلم والهرج والمرح في الأمة.
 - ٥ - ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.
 - ٦ - قتل النفس الزكية.
 - ٧ - خروج الدجال.
 - ٨ - خروج السفيناني.
- وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية (١).

(١) لاحظ للوقوف على هذه العلائم، بحار الأنوار ج ٥٢، الباب ٢٥، ص ١٨١ - ٣٠٨. كتاب
المهدي، للسيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هجري). ومنتخب الأثر، ص ٤٢٤ - ٤٦٢.

هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أموراً تمهد لظهوره، وتسهل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:

- ١ - الاستعداد العالمي: والمراد منه أن المجتمع الإنساني - وبسبب شيوع الفساد - يصل إلى حد، يقنط معه من تحقق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأن ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يدعن ويقر بأن الإصلاح لا يتحقق إلا بظهور إعجاز إلهي، وحضور قوة غيبية، تدمر كل تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التي قيدت بأسلاكها أعناق البشر.
 - ٢ - تكامل العقول: إن الحكومة العالمية للإمام المهدي - عليه السلام - لا تتحقق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنما تتحقق برغبة الناس إليها، وتأبيدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.
- يقول الإمام الباقر - عليه السلام - في حديث له يرشد فيه إلى أنه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: إذا قام قائمنا، وضع الله يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم (٢).

(٢) منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

فقوله - عليه السلام - : فيجمع بها عقولهم، بمعنى أن التكامل الاجتماعي يبلغ بالبشر إلى الحد الذي يقبل فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصد للثورة على الإمام والإنقلاب عليه، وقتله أو سجنه.

٣ - تكامل الصناعات: إن الحكومة العالمية الموحدة لا تتحقق إلا بتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كله صوته ونداءه، وتعاليمه وقوانينه في يوم واحد، وزمن واحد.

قال الإمام الصادق - عليه السلام - : إن المؤمن في زمان القائم، وهو بالمشرق يرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق (١).

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

٤ - الجيش الثوري العالمي: إن حكومة الإمام المهدي - عليه السلام - وإن كانت قائمة

على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغني عن جيش فدائي ثائر وفعال، يمهد الطريق للإمام - عليه السلام -، ويواكبه بعد الظهور إلى تحقيق أهدافه وغاياته المتوخاة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين